أ.د. عقيل حسين عقيل

العفو العام و المصالحة الوطنية

أ.د عقيل حسين عقيل

العفو العام
و
المصالحة الوطنية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

{وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1].

{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}[2].

{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[3].

---

[1] التغابن **14**.

[2] النور **22**.

[3] الأنفال **1**.

(العفو يضمّد جراح المواطنين، وإصلاح ذات بينهم يجعلها تندمل)

الفهرسّ

المقدّمة.	11
الفصل الأوّل العفو العام	17
1 . العفو.	19
2 . العفو العام.	24
3 . لماذا العفو العام؟	49
4 . الليبيون والحاجة للعفو العام.	51
5 . امتدادات العفو العام.	56
6 . المظلة واحدة، والقلوب شتى.	63
7 . الشخصية الوطنية عفوّة.	71
8 . الأخذ بالعفو، أخذ بصفة من صفات الله.	79
9 . العفو متحقّق.	85
10 . معطيات العفو.	91
الفصل الثاني: المصالحة الوطنية.	97
1 . المصالحة الوطنية.	99
2 . أطراف الاختلاف والخلاف الوطني.	104
3 . صفّ مع.	104

4 . صفّ ضدّ. 109
5 . صفّ السّاكنين. 111
6 . مبادئ المصالحة الوطنية. 113
7 . معايير المصالحة الوطنية. 125
8 . كيفية المصالحة الوطنية. 136
9 . أساليب المصالحة الوطنية. 144
10 . مواقف لا تغفل عنها المصالحة الوطنية. 149
11 . المصالحة الوطنية تلاحق خلافاً. 157
12 . التاريخ والمصالحة بين اختلاف وخلاف. 168
13 . الإصلاح من سُنن الأنبياء والمصلحين. 193
الفصل الثالث: التسامح. 231
1 . التسامح. 233
2 . ألقاب تستوجب التسامح. 238
3 . التسامح فضيلة قرآنية. 257
4 . التسامح حقّ إنساني. 264
5 . التسامح مرتبط بالأخطاء. 269
6 . التسامح بين خلاف واختلاف. 273

7 . التسامح غاية الخلاف والاختلاف. 282
8 . التسامح يستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة. 294
9 . تصحيح المعلومة. 296
10 . قواعد تصحيح المعلومة بالمعلومة. 298
11 . العودة إلى القاعدة بين الضرورة والوجوب 303
12 . المعلومة تؤثر في المعتقد والفعل. 304
13 . المصادر والمراجع باللغة العربية. 311
14 . المصادر والمراجع الأجنبية. 321
15 . صدر للمؤلّف. 291

المقدّمة

العفو العام والمصالحة الوطنية قيم أخلاقية، تتولّد العبر والمواعظ منها كونها مولود الفضائل الخيّرة، ولا يقدم عليها إلّا قوي أو قدوة حسنة. ولأنّها فضائل خيّرة؛ فهي أمر من الله تعالى: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}[4]. ومن هنا؛ جاء أمر العفو والصفح نصّا قرآنيا، ممّا يستوجب الإقدام على أفعالهما من قبل الطائعين للأمر.

ووفقا لهذا الأمر؛ فإنّ الأخذ بفضيلة العفو والصّفح بالنسبة للمؤمنين هو أخذ وجوب، ذلك لأنّ الخالق خلق النّاس على الاختلاف، الذي منه تتولّد الصدامات والخصومات المؤدّية إلى الاقتتال الذي لا يكون إلّا بعد تأزّم علائقي بين النّاس، وبذلك أوجب الله إنهاء ما من شأنه أن يؤدّي إلى ما يؤزّم العلاقات الاجتماعية

4البقرة 109.

والإنسانية، فأمر بالعفو والصّفح الممكّنان من تجاوز السيئات، والأخذ بما يمكّن من الطمأنينة المأمولة من الجميع.

وهكذا، عبر التّاريخ والنّاس بينهم ما بينهم من خلافات وصدامات واقتتال، ومع ذلك، الجروح تُضمّد، وتندمل، ولهذا، فلا استغراب أن يكون الخلاف بين النّاس، ولكن الاستغراب أن لا يحدث بينهم العفو والصفح والتسامح والتصالح.

ولذلك فإن كان الخلاف بين المواطنين من أجل الوطن؛ فَلِمَ لا يكون العفو من أجله؟

وإذا كان الصدام بينهم من أجل الوطن؛ فلِمَ لا يكون الصفح من أجله؟

وإذا كان من أجله تمّ الوقوع في الأخطاء؛ فلِمَ لا يكون التسامح من أجله؟

وإذا كان الاقتتال من أجله؛ فلِمَ لا يكون القصاص من أجله؟

وإذا كان الشقاق والخصام والنزاع من أجله؛ فلِمَ لا تكون المصالحة من أجله؟

ولأنّ لكلّ مشكلة حلّ؛ فلم لا يقدم المتصادمون والمتنازعون والمتقاتلون على حلّ ما بينهم من مشاكل بما أنّ لكلّ مشكلة حلّ؟

ولأنّ العدالة بين النّاس حق؛ فلم لا تكون القضايا بين أيدي القضاة العادلين في كلّ ما لم يتمّ الاتفاق عليه عفوا أو صفحا أو مصالحة؟

ولذا؛ فعندما تكون الخلافات بين المواطنين بعضهم من بعضٍ ليست بخلافات شخصية، ولكنّها تتعلّق بالأنظمة والسلطة وأدوات الحكم في الدّولة، فمن الواجب الأخذ بالعفو العام والمصالحة الوطنية، كونهما أداتين لحلّ التأزّمات بين بني الوطن الواحد.

ولذلك، ما جرى بين الليبيين من اقتتال من أجل الوطن، يصعب فكّ شفراته بموضوعية، ذلك لأنّ الذين أمروا بالقتال مع النظام السابق يروا أنفسهم أنّهم قد قاتلوا من أجل الوطن، والذين ثاروا على ذلك النظام، لا شكّ لديهم أنّ ما أقدموا عليه من قتال هو من أجل الوطن، ومع ذلك كلّ طرف يحسب قتلاه شهداء، والجراح بينهم لم تندمل بعد، ويا ليتها تندمل، لتعود العلاقات بين بني الوطن (الأقارب والأقارب)، ولأنّ الإجابة الشافية للشهداء عليها شهيد، فليترك أمرها إليه ولا خصام، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[5]، وقال تعالى:{إِنّ َاللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[6]. ولكن أمر

5فصلت 53.

الوطن وجمع شمله؛ فهو بيد من ينبغي أن يغيّروا ما بأنفسهم ليكونوا في مرضاة الله، مصداقا لقوله تعالى: {إِنّ َاللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[7].

وعليه؛ فإنّ تغيير ما في الأنفس ضرورة من أجل الوطن، ولهذا، وجب العفو العام والمصالحة الوطنية كونهما يمكّنان من طي صفحات المآسي والآلام والسيئات والتأزّمات التي ألمّت بالجميع، ولذا؛ فمن أجل الجميع يجب أن يعفو الجميع على الجميع عفواً عاماً ومصالحة وطنية تامة.

ولكن إن غفل الليبيون عن أهمية العفو العام والمصالحة الوطنية للجميع؛ فقد يفاجئهم غير المتوقّع بما لا يأملون،{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَايَشْعُرُونَ}[8].

6الحج **17**.

7الرّعد **11**.

8الأنعام **123**.

ولأنّ الوطن عنوان عام؛ فهو مظلة الجميع، ولذلك، لا ينبغي أن يكون فيه مواطن مقصيّا أو مهمّشا، أو معزولا من ممارسة حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا محروما من أداء واجباته الوطنية، ولا ينبغي أن يكون فيه أحد مهيمنا على شيء هو ملك للجميع، ومن يلتجئ للقوة؛ فالقوّة لا شكّ أنّها تقع في فلك (يوما لك ويوم عليك)، ولهذا، وجب العفو والتصالح.

ولأنّ الخصومات والصّدامات والخلافات تترك دَيناً على كواهل أصحابها؛ فدينها لا يؤدّى إلّا بالعفو العام والمصالحة الوطنية، ومن لم يؤدّي ما عليه من دين؛ فعليه أن لا يغفل أنّ وراء كلّ دين مطالبين، وسيظلون مطالبين بتأديته طال الزّمن أم قصر، وبخاصّة في المجتمعات القبلية التي لها في التارات ما لها، ولذلك، اعفوا وأصلحوا، حتى تطوى الصفحات المؤلمة والموجعة، ويبنى وطن الجميع بالجميع.

ولأهمية العفو العام، والمصالحة الوطنية، تناولت هذا الموضوع بالبحث، أخذا في الاعتبار أنّ خير مصدرٍ هو القرآن الكريم وسُنن الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، مع عدم الإغفال عن تلك

التجارب التاريخية التي قدّمت دروسا هي الأخرى يمكن أن تستمدّ العبر منها.

ولأنّ العلاقة المفهومية متداخلة وقويّة بين مفاهيم (العفو، والصفح، والمصالحة، والتسامح)، ارتأيت أن يكون عنوان مؤلفنا (العفو العام والمصالحة الوطنية) وذلك انطلاقا من أنّ التسامح الذي هو لين جانب يمكّن من العفو كونه رحمة من الرّحمن الرحيم، ولأنّ العفو والتصالح بين النّاس رحمة، فكان موضوع مؤلفنا تتبع تلك الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي تدفع تجاه العفو العام والمصالحة الوطنية وتحفّز عليهما، مع معرفة ما تتركه من آثار نفسية وأخلاقية بها تتحقّق الطمأنينة ويسود الأمن وتغرس الثقة بين بني الوطن.

أ.د عقيل حسين عقيل

كلية الآداب – جامعة طرابلس

2014/1/1م

الفصلُ الأوّل

العفو العام

العفـــو

العفو: قرار إرادي لا يكون إلاَّ بأيدٍ قويّة، واثقة من نفسها، ومتفهّمة لظروف المختلفين والمخالفين معها، يسمو بأصحابه إلى قمم الأخلاق الكريمة، دون انتظار مقابل سوى مرضاة الآخرين في مرضاة الله تعالى.

ومع أنّ العفو قيمة حميدة، لكنّه مترتّب على قيمٍ سابقة عليه، وعلى رأسها قيمتي (الاختلاف والخلاف)، اللتان هما متلازمتان مع طبيعة الخلق البشري، الذي لا يتطابق فيه اثنان، وإن تماثلا علماً، ومعرفة، وثقافة، ورغبة، ولغة، ومعتقداً، واختياراً؛ فالمختلفون سيظلّون مختلفين بصمة، وذوقاً، ومزاجاً، ونوعاً؛ فأنا غير أنت، ولا (هؤلاء) بـ(أولئك)، ولا الذّكر كالأنثى.

ولأنّ الاختلاف والخلاف من سُنن الحياة؛ فلابد أن يكون النزاع، والخصام، والصدام، بين المختلفين، والمتخالفين على الرؤية، والمعتقد والخصوصية المتنوّعة.

وبلوغِ المختلفين مرحلة الخلاف تمرّداً، وثورة، واقتتالا، لن تعود الحياة بينهم ساكنة على المحبّة، ولا المشاركة، ولا التعاون إلاَّ بعد عفوٍ، أو صفحٍ، أو تسامحٍ، أو صلحٍ.

ولأنَّ العفو فضيلة خيرة، ولا يكون إلاَّ بأيدٍ قويةٍ تعرف ما لها، وما عليها، وما للآخرين، وما عليهم؛ فأصحابه يمتلكون المقدرة والإرادة الدافعة للعفو عمّن أخطأ في حقّهم، أو ضلّ طريقه وصوابه في اتجاه ما لا يجب. ومن هذا المنطلق خاطب أرسطوطاليس الإسكندر بقوله: "إذا أعطاك اللَّه ما تحب من الظفر؛ فافعل ما أحب من العفو"[9].

ولأنّ الاختلاف والخلاف من سُنن الحياة؛ فكذلك العفو سُنّة من سُنن الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأسوة الحسنة؛ فهو لمّا فتح مكّة، خاف القريشيون من انتقامه منهم، ولكن رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، عفا عنهم، لأنّ سجيته العفو عند المقدرة؛ فقال: "من

---

[9] الموسوعة الشاملة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص 56.

دخل البيت الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن دخل داره؛ فهو آمن"[10].

مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم على خلافٍ، واختلاف، مع أولئك المشركين، والكفرة، الذين كادوا له المكائد، وقاتلوه، لكنّه وهو في موقف القوّة، والمقدرة، عفا عنهم.

ولذا، وجب الأخذ بما أمر الله به، وما أقدم عليه الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام، من عفو وتسامح، ومن هنا، تؤخذ العبر والمواعظ، من أجل حياة اجتماعية وإنسانية آمنة، وعلاقات اجتماعية وإنسانية عُراها لا تنفصم.

ولأنّ العفو فضيلة مستمدّة من اسمه العفوّ جلّ جلاله؛ فهي قيمة اجتماعية محبّبة لقلوب النّاس، ممّا جعل العلاقة قويّة بين العفو وتحقيق امنهم، ولهذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: من دخل البيت الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي

---

[10] الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ص **8**.

سفيان؛ فهو آمن، ومن دخل داره؛ فهو آمن. أي: قال: من دخل كذا، وكذا، كما جاء نصّاً؛ (فهو آمن)، ولم يقل (معفو عنه)، وهذا الأمر يدلّ على أنّ عفو رسول الله بهذا الأسلوب فعل متحقق الإعفاء، أي: إنّه العفو، ولا رجعة فيه، ولأنّه كان كذلك، كان المعفو عنهم على حالة من الأمن المتحقّق ولا شكوك فيه.

وعليه؛ فالعفو قيمة مرضية للخالق والمخلوق، ولأنّها كذلك؛ فالمؤمنون يتحفّزون إلى تحقيقه قيمة حميدة كلّما كانوا على القوّة وهم منتصرون.

ولأنَّ العفو فضيلة خيّرة، وقيمة أخلاقية حميدة؛ فيجب أن يسود بين أفراد وجماعات وقبائل ومكوّنات بني الوطن، حتى تنتهي خلافاتهم وخصوماتهم. والعفو الذي يمتلكه من يمتلك القوّة، لا يمكن أن يكون عفواً سائداً بين النّاس أقارب وأباعد، إلاَّ بعد الغضب والتشاحن والخلاف والتصادم؛ أي: لو لم تكن هذه ما كان للعفو قيمة.

ولأنّ العفو قيمة مقدّرة تقديرا عاليا من الله تعالى قال: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}[11]، أي: يسألك قومك يا محمّد: ماذا ينفقون؟ فقل لهم العفو، ذلك لأنّ العفو هو رأس مال يغني من هو فقير إليه، وهو الفضل الكبير بين أهل الفضائل الخيّرة. وهو خير ما يؤخذ به، وفي المقابل من لم يأخذ به؛ فقد يجد نفسه يوما ما في حاجة لمن يعفو عنه، ومن هنا، تلد الموعظة مواعظ.

إذن، العفو قيمة، وفضيلة، به يتمّ إسقاط الحقّ برضا صاحبه، دون أن يكون هذا الإسقاط على حساب أي من حقوقه، وواجباته، ومسؤولياته؛ فوليُّ الدّم له الحقّ في القتل، فإذا عفا وليُّ الدم عن شيء يتعلّق بالقاتل؛ فليتّبع القاتل ذلك العفو بمعروف.

---

[11] البقرة **219**.

العفو العام

العفو العام قيمة إنسانية أخلاقية بين الأخوة ولا يقدم عليه إلاَّ الأقوياء والمؤمنين الذين يتّقون الله فيما أمر به ونهى عنه. ويعود الأخذ بالعفو العام إلى اليونان تحت اسم (الإلغاء العام)، وكانت تمنح رّسائل الإعفاء باسم (رسائل الإلغاء). وقد اطلق أهالي أثينا القديمة تسمية العفو العام لأوّل مرّة على القانون الذي أصدره حاكمها بعد طرد أعضاء مجلس الثلاثين وإلغائه عام **403** ق. ب، تعبيرا عن شعورهم بنسيان الماضي، وقيام المصالحة الوطنية، ونبذ الأحقاد، وعوامل التفرقة. ثم اتبعت روما هذا الاختيار في القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر، حيث أصبح الملوك

والأمراء يمارسون إصدار العفو العام بقرارات خطيّة حفظا على العدالة[12].

وفي الستينيات وأوائل السبعينيات، عارض الكثير من الأمريكيين حرب فيتنام. فقد قدَّرت الحكومة أن حوالي 93000 جندي أمريكي هربوا من الحرب، أو تم تسريحهم لغيابهم بدون إذن مغادرة، وحوالي 13000 أمريكي تجنبوا التجنيد (تجنبوا الاستدعاء للخدمة في القوات المسلحة). وهرب الكثيرون إلي بلدان أجنبية، أو اختبؤوا داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد انتهاء تورُّط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب في عام 1973م، طالب الكثير من النّاس بعفو عام عن مجمل المجموعة. وازداد الطلب في عام 1974م، وبعد أن عفا الرّئيس جيرالد فورد، عن الرّئيس السابق ريتشارد نيكسون،

---

[12] فيليب بينيل Philippe Pinel الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية، عبد الرحمن إبراهيم، دمشق، 2011/9/21.

وعن كلّ الجرائم الفيدرالية التي يمكن أن يكون قد اقترفها، بوصفه رئيسًا للسّلطة التنفيذية[13].

وهكذا أصبح الأخذ بالعفو العام، ولكن على أيدي من يمنحه الدستور والقوانين المنفّذة له هذه الصلاحية، ويشمل جريمة أو عددا من الجرائم، ويكون من شأنه محو الصّفة الجرمية عنها، وأصبح العفو العام سلطة في يد المشرّع يستعملها حينما يريد أن يسدل ستار النسيان على بعض الأفعال التي كانت حين اقترافها تشكّل خطراً على أمن المجتمع ونظامه، ثمّ لم تعدّ لها هذه الصّفة، وصار من الواجب رفع آثارها عن الأشخاص الذين قاموا بها.

إنَّ المجال الأوسع للعفو العام، هو الجرائم السياسية، وبعض الجرائم الواقعة على أمن الدّولة، وبذلك يأخذ العفو العام أشكالا متنوّعة، ولكن أعظمه العفو المجتمعي، الذي لا يفرّق بين أبنائه،

---

[13] منتديات ستار تايمز، أرشيف شؤون قانونية، محمّد مدريدي، تعاريف العفو العام، 2010/10/24.

أمّا الحاكم الذي بيده مقاليد السلطة، يعفو كما يشاء على من يشاء، وفي المقابل يمنع العفو عمن لا يشاء حتى وإن كانت جريمته متطابقة مع الذين أقرّ لهم حقّ العفو. وبذلك غالبا ما يصدر العفو العام لاعتبارات خاصّة متعلقة بالسّلطة الحاكمة، كالعفو الذي يصدر على أثر تغيير نظام الحكم، أو بمناسبة تسلّم رئيس جديد لمقاليد السّلطة العليا في البلاد"[14].

وقد أجمع فقهاء القانون على تعريف العفو العام: "بأنّه إزالة الصّفة الجنائية تماماً عن الفعل المرتكب ومحو آثاره، سواء قبل رفع الدعوى، أو بعد رفعها، وقبل صدور الحكم وبعد صدور العقوبة؛ ممّا يجعل العفو العام يحول دون اتخاذ أيّ إجراء من إجراءات الدعوى، كما أنّه يوقف إجراءات المحاكمة، ويمحو العقوبة الصادرة"[15] .

---

[14] الحوار المتمدن، العدد 1494، 2006، عبد الرحمن تيشوري، العفو العام والعفو الخاص والعلاقة بينهما.

[15] منتديات ستار تايمز، شؤون قانونية، العفو العام والعفو الخاص.

ومع أنّ العفو العام أو الخاص وفقا للقانون، لكن لمتسائل أن يتساءل: أيّ قانون هذا؟

هل هو ذلك القانون الذي ثارت الشّعوب عليه كما هو الحال في تونس وليبيا ومصر، أم أنّه قانون الثورات ذاتها؟

ولأنّ القانون السّابق لا تعمل الثورات به، كونها ثارت عليه، وبخاصّة إن لم يكن مستمدّا من عقدٍ اجتماعي، وفي المقابل أنّ الثورات لم تصدر بعد قوانينها الشرعية (المستمدّة من الدساتير)؛ فعلى ماذا يا ترى سيكون منح العفو العام؟

أقول:

ولأنّه لا قانون، ولا دستور إلاَّ من الشّعب؛ فَلِمَ لا يكون العفو العام مصدرا رئيسا للوفاق الوطني؟ أي: لِمَ لا يكون العفو العام صادرا من منابعه الرّئيسة (الشّعب)؟ من خلال مكوناته الاجتماعية (مشايخ وقادة ووجهاء وأعيان ومفكّرين وساسة، وروّاد مؤسّسات المجتمع المدني). خاصّة وأنّ قوانين الدّول تجيز العفو العام والخاص قبل رفع الدعاوى وبعدها. ولذا؛ فمن الأفضل أن يصدر العفو العام قبل رفع الدعاوى (في زمن

الاتهامات) ذلك لأنّ الاتهامات ستظل اتهامات حيث لا أحكام مسبقة. فيحول العفو العام دون اتخاذ أيّ إجراء من إجراءات الدعوى، ويوقف إجراءات المحاكمة، ويمحو العقوبة الصادرة؛ فالعفو العام: تنازل من الهيئة الاجتماعية عن كلّ أو بعض حقوقها المترتّبة على الجريمة، فعندما يصدر العفو العام وهو تنازل المجتمع عن حقّه في عقاب مرتكبي الجريمة، هذا التنازل يترتّب عليه محو الصّفة الإجرامية عن الواقعة التي ارتكبت، ولا يؤثّر ذلك على الدعوى المدنية والحقوق الشخصية المطالب بها نتيجة هذا الفعل؛ ولذلك لن تسقط الدعوى المدنية بالعفو[16].

ومن هنا؛ فمطلبنا الوطني بالعفو العام لا يعني أنّنا المبتدعون له؛ فتاريخ الشّعوب مليء بالخصومات والصّدامات والنّزاعات والقتالات، التي بأسبابها أمر الله تعالى، بالعفو، والصفح، والصّلح؛ فتسامح المتخالفون وتصالحوا وصفحوا وعفوا، ولو لم يتمّ ذلك، لما كانت الحياة على ما هي عليه اليوم بين ماضٍ منه تستمدّ العبر ويتمّ الاتعاظ، وحاضر مؤلم، لن تنفكّ أوجاعه إلاَّ

---

[16] منتديات ستار تايمز، المرجع السابق ، **29/ 11/ 2011**.

بالعفو العام والمصالحة الوطنية، ومستقبل مأمول لا يتحقّق إلاَّ بالجميع، ولا استثناء لأحدٍ إلاَّ من قَبل باستثناء نفسه، ليكون حقّه من وجهة نظره قضية بين أيدي المحاكم العادلة.

ولأنّ العفو العام في الظروف الاستثنائية لا يتحقّق إلاَّ بتوافق مجتمعي؛ فَلِمَ لا يلتقي الوجهاء والأعيان والمشايخ والقيادات الاجتماعية والشعبية والوطنية للتوافق الممكّن من العفو العام الذي بدوره يمكّن من جمع شملهم وتحقيق أمنهم؟ ثمّ يتركوا الحقّ الخاص أمام المحاكم لمن لم يقبل بالتنازل والتسامح والصفح والعفو.

ومع أنّ للعفو العام أساليب متعددة؛ لكنّه غالبا ما يصدر إثر الاضطرابات الاجتماعية والانقلابات السياسية عندما تدعو الحاجة إلى تسكين ثورة الغضب من تأثير بعض الحوادث؛ فيسعى المشرّع من جانبه إلى تهدئة النفوس والخواطر عن طريق العفو عن بعض الجرائم؛ فيسدل الستار على ذلك الماضي، وما اكتنفه من ذكريات أليمة، سعيا لاسترضاء المجتمع، ولنشر الطمأنينة فيه.

ولكن عندما تكون الاضطرابات والخصومات والنزاعات والاقتتال نيرانها لم تطفأ بعد، والنّاس بها يكتوون؛ فليس لهم بدّ إلاَّ الالتقاء والتصافح والعفو والتسامح بقلوب وإن كانت مجروحة فللقصاص مكانة بينهم وفقا لكتاب الله وشرعه.{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[17] فقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) يُبرز حقّ المؤمنين في الانتصار لأنفسهم إذا أصابهم البغي، ويضع لجامًا لهذا الانتصار للنفس وهو الحدّ الذي لا يجوز تجاوزه. ثم يعرض الله مرتبة الإحسان مشجعًا عليها فيقول: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}، ثمّ، يتبع ذلك بإعلان حرمان الظالمين من محبّة الله: {إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. ثمّ، يعلن النصّ القرآني حقّ

---

[17] الشورى 40 ـ 43.

المظلومين في أن ينتصروا لأنفسهم، ويعلن بشدّة استحقاق الظالمين للعقاب في الدنيا، والعذاب في الآخرة؛ فقال: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، ثمّ لا يدع النّص مرتبة العدل هذه تتّجه إليها الأنظار بالكلية، بل يدفع مرّة ثانية إلى مرتبة الإحسان بالصبر والمغفرة، معلنًا أن ذلك من عزم الأمور[18]، فقال تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، أي: إنَّ هذه الأعمال الخيّرة المفضّلة عند الله تعالى، والتي على رأسها العفو؛ فمثل هذه الأعمال لا يقدم عليها إلاَّ الرّجال والنساء أصحاب المواقف العظيمة، التي تُفتح لهم صفحات التاريخ ليسطّروا فيها ما يجازي الله عليه.

---

[18] أحمد فواقة، العفو خلق إسلامي عظيم، جامعة القدس، كلية الدعوة وأصول الدين، المغرب.

ولأنّ العفو العام يجنّب الكلّ جرائم الكلّ وكبائر الكلّ؛ فَلِمَ لا يقدم عليه الجميع اختيارا وطنيا، وينتهوا عمّا نهى الله عنه، ويكفّرون به عن سيئات من سيئاتهم حتى يناولوا رضا الله؟ {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}[19].

ثمّ قال: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[20]، أيّها المتخالفون والمتخاصمون والمتقاتلون: ألا تحبّون أن يغفر الله ذنوبكم على من قبلتم العفو عنهم؟ فاعفوا، {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[21]؛ فالْعَفْوُ الذي لا يكون إلاَّ عن إرادة، هو تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ. وفي المقابل الصَّفْحُ، هو: إِزَالَةُ أَثَرِهِ مِنَ النَّفْسِ، ومع أنّ العفو مأمور به، والصفح كذلك، لكن كليهما لا يقدر عليهما إلاَّ مؤمن طائع لأمر الله ومنتهي بنهيه، ممّا يدفعه

---

[19] النساء 31.

[20] النور 22.

[21] البقرة 109.

إلى الإقدام عليهما دون تردد، حيث مغالبة الإيمان في النّفس على النّفس المملوءة بالألم.

ولذا، عندما يخيّر الإنسان المؤمن بين طاعة الله وطاعة نفسه، لا شكّ أنّه سينحاز إلى طاعة الله ومغالبة النّفس، ممّا يدعو النّفس إلى طاعة الله راضية مرضية. {لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ}[22]، أي: إنّ النفس لِمَا سعت إليه من عمل صالح في الدنيا من طاعة ربها راضية؛ ولأنّ الأمر كذلك؛ فَلِم لا يسعى الليبيون إلى العفو العام والمصالحة الوطنية، لينالوا بهما مرضاة الله؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلاَّ زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ للهِ إِلَا رَفَعَهُ اللهُ"[23].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ". ما أجمل قول الرّسول، وما أعظم سنّته، ويا ليت الليبيون يتعظوا؛ فالليبيون إن أرادوا وطنا آمنا؛ فعليهم بالعفو العام، أخذا بما أمر الله به من

---

[22] الغاشية 9.

[23] مسند أحمد، ج 12، ص 139.

عفو، وبما أكّد عليه رسولهم الكريم، وإن ظنّ من ظنّ أنّه يمتلك القوّة التي بها يستطيع مغالبة الآخرين وقهرهم؛ فعليه أن يتذكر قوّة الله عليه.

وإن أراد الليبيون وطنا تكون الأنفس فيه آمنة مطمئنة، لا مناص لهم من الإقدام على العفو والصفح والمصالحة الوطنية. وإن لم يفعلوا ذلك، قد يفقدوا الوطن بكامله؛ فيصبح في مهبِّ الرّيح بين قاتل ومقتول، وحتى لا يُفقد الوطن وتتصدّع الهويّة؛ فعلينا بتصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، وتغيير ما بأنفسنا، من أجل ليبيا وطن الجميع، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[24].

ولأنّه العفو العام؛ فهو المُنقذ والمخلّص، من الدّسائس والثأرات التي لا تموت ولا تمحى من القواميس القبليّة المتعصّبة، ولهذا، لا مفرّ لليبيين إلاّ العفو العام؛ وإلاّ سيكون الاقتتال بينهم كما هو بين الأعداء وأكثر ضراوة.

---

[24] الرعد **11**.

فالليبيون جميعهم في حاجة للعفو، ولأنّهم في حاجة إليه؛ فلِمَ لا يقدموا عليه ويطووا صفحات الماضي وآلام الحاضر، من أجل مستقبل مشترك؟

ومع أنّ الجميع في حاجة للعفو، لكن دائما لكلّ قاعدة استثناء؛ فهناك من يرى فرصته نهبا وسلبا، وفرض رأياً بغير حقّ، لا لشيء إلاَّ لأنّ المعلومات الخاطئة وردود الأفعال في نفسه قد فعلت فعلتها.

وعندما تصبح تصرّفات البعض نتيجة ردود أفعال؛ فلا يمكن لهم أن يقرّوا عدلاً، ولا يرسوا أمناً، ولا يسهموا في بناء وطن. ومثل هؤلاء وإن كانت بأيديهم القوّة؛ سيفاجئون في دائرة غير المتوقّع، والزّمن كفيل بذلك.

ومع أنّ العفو يسهم في طي صفحات المظالم التي تجري بين ظالم ومظلوم، لكن بين الليبيين لَعِبتْ المعلومات الخاطئة لعبتها حتى جعلتها فتنة، ولأنّها فتنة بين البعض من البعض؛ فَلِمَ لا يقدم الجميع على إطفاء نيرانها دون تبرئة البعض منها؟

ولأنّها المعلومات الخاطئة، وردود الأفعال المؤلمة، جعلت من الذين وقعت عليهم أفعال المظالم ظلمة؛ فالليبيون الذين تقاتلوا وكلّ منهم كان يرى نفسه يقاتل من أجل الوطن، كان الاقتتال بينهم فتنة؛ ولذلك، وجب العفو بين الأخوة بعض من بعضٍ حتى تقف المظالم؛ ومن ثمّ، في ليبيا لم يعدّ الأمر فيها بين من هو في حاجة للعفو، وبين من هو في غير حاجة له، بل الكلّ في حاجة للعفو، ومن هنا؛ فالكفّتين بين الأخوة متعادلتين، وخيرهم من يبدأ بالسّلام، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: "مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَوْلَى بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ"[25].

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن لليبيين أن يخرجوا من فتنتهم؟

أقول:

1 . كلّ من يكون جزء من المشكلة يجب أن يكون جزء من الحلّ، وحتى لا تصبح الأجزاء عوائق أمام بلوغ الحلّ يجب أن تحصر المشكلة في رأسها الذي نسج خيوطها تامّة.

---

[25] مسند أحمد، ط الرسالة 36، ص 611.

2 . حصر المشكلة الكبرى للفتنة الكبرى في ليبيا في رأس النّظام السّابق (معمر القذافي)؛ فهو المسؤول دون غيره عن كلّ شيء جرى في ليبيا، الآخرون جميعهم تحت الأمر، حتى بنو عشيرته وقبيلته فهم من المظاليم الذين تضرروا كما تضرّر غيرهم من الليبيين.

3 . العفو العام عن الحقّ العام، وذلك بطي صفحة الأخطاء التي ارتكبت ظلماً باسم الدّولة، أو اسم الثورة. {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}[26].

4 . العفو الخاص عن الحقّ الخاص لا يسري عليه ما يسري على العفو العام؛ فالعفو الخاص أمره بيد من يتعلّق الأمر بهم (عفوا أو قضية) والمحاكم العادلة خير من يفصل فيها، {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[27].

5 . المصالحة الوطنية، تطوي صفحات الخلاف والاختلاف المجتمعي، وتفتح آفاق التواصل من أجل مستقبل وطني،

---

[26] البقرة **109**.

[27] المائدة **44**.

حيث لا حرمان ولا هيمنة، وعندما تقبل أن تكون مصلحا بين النّاس؛ فعليك بمن يجعل نفسه جزء من المشكلة أن تجعله جزء من الحلّ، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[28].

6 . القصاص وفقا لشرع الله، مصداقا لقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[29].

7 . وفاق وطني، يجمع شمل الشّعب دون مغالبة قهرية، ولا إقصاء ولا تغييب لأحد من المواطنين من ممارسة حقوقه تامّة، وأداء واجباته وحمل مسؤولياته. {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[30].

---

[28] الحجرات 10.

[29] المائدة 45.

[30] البقرة 256.

8 . التسامح لين جانب، وإدراك لما يجب والأخذ به، كي لا تكون بين الأخوة فتنة، قال تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[31]، وقال تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[32]. وقال رسول الله: "من دخل البيت الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن دخل داره؛ فهو آمن"[33].

9 . تأسيس جيش وطني ولاؤه للشّعب، يحمي الدّولة من العدوان الخارجي، ويحمي الشّعب من الفتن الداخلية. {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[34].

---

[31] المائدة 28.

[32] يوسف 91، 92.

[33] الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ص 8.

[34] الأنفال 60.

10 . تأسيس شرطة وطنية، تسهر على تحقيق الأمن الداخلي وفقا للقانون المستمدّ من الدستور الوطني. {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}[35].

11 . إجراء انتخابات نزيهة تمكّن من اختيار رئاسة وطنية وممثلين قادرين على حمْل المسؤولية الوطنية. {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[36].

12 . استصدار دستور وطني يمكّن الجميع من ممارسة الحرّية وتداول السلطة. {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[37].

ومع أنّ الألم شديد، لكن الواثقون من أنفسهم يولون أمرهم لله ويعفون، ولمن لا يرى ضرورة ولا أهمية لذلك، أقول:

. ألا يكون قتل النفس بغير حقّ محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون النّهب والسّلب محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون الاعتداء على النّاس محرّم ومجرّم؟

---

[35] الحجرات 46.

[36] الشورى 38.

[37] المائدة 48.

. ألا يكون تهجير النّاس من ديارهم محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون هتك العِرض محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون دخول بيوت النّاس واستباحتها محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون الاستلاء على ممتلكات النّاس وبيعها محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون تهديد النّاس في تنقّلهم وأماكنهم الخّاصة محرّم ومجرّم؟

. ألا يكون استعراض القوّة المسلّحة على المواطنين في الشوارِع استفزاز مؤلم للأنفس التي يجب أن تكون في بلدها آمنة مطمئنة؟

. ألا يكون الحديث باسم الشّعب ظلم من قبل البعض الذين لم يولهم الشّعب ولاية أمره؟

ولأنّ كلّ ذلك حدث ولازال يحدث من قبل البعض، فلم لا يجنح الجميع إلى بعضهم البعض عفوا وصفحا وتسامحا ومصالحة وطنية؟

ومن ثمّ؛ فعندما تكون الفرص سانحة للعفو والصفح والتسامح؛ فَلِمَ لا تغتنم من قبل الجميع؟

ومن لم يغتنمها وهو في حاجة إليها لا شكّ أنّه سيضيّع فرصة إنقاذه من التأزّمات، التي من بعدها لن يجد له سبيل سوى دفع الثّمن بأسعار مؤلمة.

ومع أنّ الاختلاف من سُنن الحياة، لكن الشّعوب التي حُرمت من ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي، لا تفرّق بين الاختلاف والخلاف، ويا ليتها تعي وتفرّق لتعرف أنّ الاختلاف تنوّع به تتلاقح الأفكار والرؤى من أجل الأفضل؛ فتقبل الآخر وتعترف به شريكا له الحقّ في أن يقرّر، ولا أحد من المواطنين يُحرم من ممارسة هذا الحقّ، وله الحقّ أن ينفّذ وفقا لتخصصه وما له من صلاحيات قانونية مكفولة دستورياً.

أمّا الخلاف؛ فشأنه يتعلّق بشأن الشريعة والوطن والفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، التي يستوجب الخلاف عليها والخلاف من أجلها، ومع ذلك يجب الالتقاء من أجلها دون إكراه يكون سببا في وجود غالب ومغلوب، ولهذا؛ فالتوافق حلّ يُخرج من التأزمات الوطنية.

ولأنّ الخصومات والقتالات تُخلّف من ورائها ما تخلّفه من قتلى وخسائر وأوجاع وجرحى، ولكن من أجل الوطن؛ فالكلّ ينبغي أن يتنازل إرادة من أجله؛ فإذا كان الاقتتال من أجله؛ فَلِمَ لا يكون العفو هو الآخر من أجله؟ ولا داعي لجعل الجرحى مشجبا تعلّق عليهم العوائق، بل الجرحى من حقّهم بلوغ الشفاء، ومن حقّهم ضمان العلاج، ومع ذلك؛ فللجريح وأولياء الدّم أن يتصدّقوا بجهادهم في سبيل الله ويعفو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جُرِح في جسده جراحةً فتصدَّق بها، كُفّر عنه ذنوبه بمثل ما تصدّق به"[38]. وعن قتادة قوله: "فمن تصدّق به فهو كفارة له"، يقول: لوليّ القتيل الذي عفا[39]. قال الله تعالى: {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[40]، وعن ابن عبّاس قوله: "والجروح قصاص؛ فمن تصدّق به؛ فهو كفّارة له"، يقول: من جُرح فتصدَّق بالذي جُرِح به على الجارِح؛ فليس على الجارِح سبيلٌ، ولا حَرَج، من

---

[38] تفسير الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 365.

[39] المصدر السابق، ج 10، ص 365.

[40] المائدة 45.

أجل ما تصدّق به الذي جُرِح، فكان كفارة له من ظلمه الذي ظَلَم[41].

ولأنّ هذا البحث من أجل معرفة ما يجب وفقا لمرضات الله تعالى، كان لنا تساؤلا، مفاده:

متى يستوجب العفو؟

فالقرآن وسنّة نبينا محمّد عليه الصَلاة والسّلام هما المصدران الكفيلان بمعرفة الإجابة الحقّ، حتى وإن جعل من جعل نفسه عائقا أمام إحقاقه، أي، إنّ الحقّ هو الحقّ الذي لا يعلو شيئا عليه، ولأنّه كذلك؛ فَلِمَ لا يؤخذ به تيسيرا لا تعسيرا؟ ولم لا نعترف جميعا أنّ الكمال لله وحده؟ وإن اعترفنا إيماناً تاماً بأنّ الكمال لله وحده؛ فلم لا نأخذ بما جاء به الكمال من الله تعالى الذي يعفو عن السيئات التي لا يقدم عليها إلاَّ منقوص؟

ولأنَّ السيئات لا يقدم عليها إلاَّ منقوص؛ فالمنقوص مثل المريض؛ فلا على المريض حرج، ولهذا، {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

---

[41] تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر ، ج 10 ، ص 368.

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[42]. فاعفو أيّها الليبيون، وأيّها التونسيون، وأيّها السوريون، واليمنيون، على سيئات بعضكم بعضا، وخذوا بقوله: {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}[43].

فالسيئة هي التي لا خير فيها، ولأنّها كذلك؛ فلماذا البعض يأخذ بها؟ ولِمَ لا تُجرّم وتُقصى من الجميع من أجل الجميع؟ فالنّاس لا ينبغي أنْ يُقصوا، بل الجرائم والمفاسد والسيئات هي التي يجب أن تُقصى من الذاكرة، ويحلّ محلّها العفو والصفح والمودة.

ومع أنّ السيئة من عمل المساوئ، التي منها السّلب والنّهب والظّلم، وكلّ ما من شأنه أن يجعل الفتنة بين النّاس على الدين أو الوطن، ولكن الله يعفو عنها، {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}[44].

ولأنّ الله يعفو عن السيئات، فلم لا يعفو عباده عنها؟ ويتّقوا الله في أنفسهم وأهليهم وأوطانهم أم أنّهم لا يعلمون العاقبة،

---

[42] الأعراف **199**.

[43] الشورى **25**.

[44] الشورى **25**.

تلك التي قال فيها الله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى}[45]. و(السُّوأَى) يعني: الخُلَّة التي هي أسوأ من فعلهم[46]. اللهم احفظنا منها جميعاً، ولكن إن أراد من أراد حفظا منها؛ فعليه بالعفو؛ فهو المنقذ لمن ارتكب سيئة. {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}[47]. اجتنبوا القتل؛ فهو كبيرة، واجتنبوا النهب، والسلب، وهتك العرض، واجتنبوا العدوان، {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[48].

ألا يكون من الأفضل للإنسان المخطئ أن يعترف بأخطائه، ويعمل على تصحيحها، ويعتذر عنها، ويستغفر الله ويكفّر عن أعبائها الثقيلة؟

---

[45] الروم 10.

[46] تفسير الطبري، جامع البيان ، ج 20، ص 79.

[47] النساء 31.

[48] النساء 29، 30.

ألا يكون من الأفضل للإنسان أن لا يرتكب السيئة؟ وإن ارتكبها تحت ظروف ومعطيات استثنائية، ألا ينبغي عليه أن يكفّر عنها؟

ألا ينبغي على المؤمن أن يجتنب ما أمر الله اجتنابه ليفوز بمرضاته المُمكّنة من تكفير السيئات! مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾

ولأنّها السيئة الكبرى؛ فخير مكفّر عنها هو: العفو والصّفح، اللذان هما كفيلان بمحو آثارها، وما يترتّب عليها من عقاب شديد، ولا قنوط من رحمة الله، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}[49]. لا تقنطوا، فالعفو كفيل بمحو السيئة المتماثلة معه على كفتي العدالة الربّانية؛ فاعفوا، خير لكم. قال تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[50].

---

[49] الروم **36**.

[50] النور **22**.

ولأنّ العفو فضيلة خيّرة؛ فهو المستمدّ من اسمه العفوّ، وبما أنّ فضيلة العفو لا تستمدّ إلاَّ من اسم الله العفوّ؛ فلم لا يؤخذ بها ليكون المؤمن على صفة من الصفات المستمدّة مباشرة من اسمه جلّ جلاله؟

وعليه، فمن تمكّن من أن يعفو، تمكّن من استمداد صفة العفو التي هي صفة من صفات الله تعالى. ولأنّها صفة لله تعالى، وتستمّد بقوّة الإرادة والتقوى، فلم لا تقوى إراداتنا جميعا حتى نكسب صفة العفو؛ فنعفو؟

لماذا العفو العام؟

لأنّه:

* صفة من صفات الله التي بإمكان الأخوة والمؤمنين ومن تمكّنت الأخلاق منهم أن يستمدونها عملا وفعلا وسلوكا.
* يكفّر عن السيئات.
* يطهّر النّفس من الغلّ والكيد والمكر والظلم.
* يطوي الهوة بين المتخالفين؛ فيجعلهم على التوافق.

* يمكّن من بلوغِ المصالحة الوطنية.
* ينقد من ثارات الجاهلية.
* يجنّب النّاس من الفتنة.
* يمكّن من الأخذ بالعدالة.
* يمكّن من الاعتراف المتبادل.
* يمكّن من تفهّم ظروف الآخرين.
* يطوي صفحات الآلام والأوجاع.
* يعيد العلاقات الدافئة بين الأقارب والأباعد.
* يحفّز على بناء الدّولة الآمنة.
* يمكّن من المشاركة وممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام.
* يطوي صفحات الماضي المؤلمة، ويفتح آفاق المستقبل المأمول.

الليبيون
والحاجة للعفو العام

الليبيون في حاجة ماسة للعفو العام أكثر من غيرهم من شعوب ما سُمّى بالثورات العربية؛ فتونس على سبيل المثال شعبها في حاجة للتسامح أكثر من حاجته للعفو، فالتونسيون مؤسساتهم باقية وقوانين دولتهم سارية المفعول، فلم يقصوا أحداً ولم يعزلوا مواطنا، بل جعلوا التهم القضائية تلاحق من تبقّى من عائلة الرّئيس السابق زين العابدين بن علي وأهله نسباً، وبالتالي لا فتن في تونس سوى الصّراع على السّلطة بين الأحزاب والمكوّنات الوطنية وبعض الأفراد؛ فتونس ستكون قادرة على تجاوز الأزمة.

وكذلك مصر ليست في حاجة للعفو العام، بل هي الأخرى في حاجة للتسامح الذي يمكّن الجميع من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، أي: إنّ الدّولة ومؤسساتها في مصر وتونس

واليمن باقية ولم تتحطّم كما تحطّمت في ليبيا، ممّا جعل الشعب الليبي على الفرقة بين الضدّ وضدّه، وبخاصة السّلاح المنتشر بيد الجميع، فالكلّ يشكل خطرا على الكلّ، ولأنّ الكلّ يشكلّ خطراً على الكلّ؛ فالكلّ في حاجة للعفو، ممّا يستوجب الأخذ بالقاعدة المنطقية: (اعف عنّي اعف عنك، وإن لم تفعلها؛ فلا تظنّ أنّك ستكون آمناً). ذلك لأنّ الوطن ملك للجميع، ولأنّه كذلك؛ فلا ينبغي الحرمان، ولا الهيمنة، ولا العزل السياسي، ولا التغييب، ولا التهميش؛ فهذه إن سادت بين الشّعب تجعل البعض وكأنّه مواطن من الدّرجة الأولى، وتجعل البعض الآخر وكأنّه مواطن من الدرجة الثانية. ولهذا؛ لا حلّ إلاّ العفو الذي به تندمل الجروح، وإلّا ستقول القوّة كلمتها في الزمن غير المتوقّع.

ومن يعتقد أنّه قويّ ومتمكّن من مفاصل الدّولة، أو متمكّن في الميادين بقوّة السّلاح، فعليه أن يفكّر فيما يفكّر فيه، وهو يفكّر قبل أن يقدم عليه، وإلاّ ستواجهه المفاجآت؛ فتصدمه بما هو غير متوقّع في دوائر التطرّف والإرهاب والثورة، مع مرافقة التدخل الأجنبي. أي: إذا اعترف من يعترف بأنّه مضطر لعزل

البعض، وتهميش البعض، وتغييب البعض، والسيطرة على البعض، والتشكيك في البعض، وحرمان البعض، والهيمنة على البعض، والزج بالبعض في السجون، ؛ فعليه أن يعرف أنّهم على الكثرة التي تجعله هدفاً لا ينظر إلاَّ بعينيه وحده في مقابل عيون بعضها من بعض. ولهذا؛ فالصلح خير، والعفو يكفّر السيئة، وإلّا سيكون الندم يوم لا ينفع النادمين.

ومن ثمّ، أقول لأهلنا في الشّرق: عبر التاريخ ليبيا لا تُبنى إلاَّ وأنتم السبّاقون على تحريرها، فأنتم أوّل من حرّر جزء من تراب ليبيا (إقليم برقة) من الاحتلال الأجنبي في **1**مارس **1949**م وانتظرتم استقلال بقية الأقاليم الليبية حتى عام **1951**م، الذي كان فيه يوم **24** ديسمر يوم استقلال الوطن؛ وها أنتم أيضاً قد سبقتم على تحرير إقليم برقة في أربعة أيّام من قبضة النظام السّابق، وانتظرتم حتى تحقق التحرير، فأنتم والتاريخ أهل؛ ولم تكونوا في حاجة لمن يعرّفكم به؛ فلا تتخلّوا عن أهلكم، ولا تهجروا بيتكم (الوطن) ولا تفارقوا الثورة من أجله، واعفوا.

وأقول لأهلنا في الزنتان: إذا كانت انتفاضتكم في الزنتان ثورة من أجل ليبيا وطن للجميع من الحدود إلى الحدود؛ فعليكم

بالوطن، وبالجميع من الحدود إلى الحدود، ولا شكّ أنّ هذا الأمر سيجعل سجلات التاريخ مفتّحة لكم لتسطّروا عليها مع الليبيين تاريخا وطنياً.

وكذلك أقول لأهلنا في مصراته: إذا كانت انتفاضتكم في مصراته ثورة من أجل الوطن (ليبيا للجميع) لا محروم ولا مظلوم، ولا مسجون، ولا مقتول بغير حقّ؛ فعليكم بليبيا، واستيعاب الآخرين من أجل بناء الدّولة التي ينبغي أن تمارس الحرّية فيها عن إرادة، والسّلطة فيها بين أهلها متداولة؛ فإن فعلتم ذلك لا شكّ أنّكم ستجدون التّاريخ الوطني يسعى إليكم محبّة قبل أن تفكّروا فيه تاريخا وطنياً. فأنتم والزنتان وأهل جبل نفوسة لا شكّ أنكم كنتم في مواجهة الشدائد وأيّامها المؤلمة، أوتادا للوحدة الوطنية؛ فاعفوا.

وأقول لأهلنا في العاصمة (طرابلس): أنتم مثل الجاذبية التي جمعت شتات الأرض وحافظت عليه، والتي إن فقدت جاذبيتها فقدت وجودها ووجود من يدور في فلكها؛ فأنتم مركز جاذبية الوطن، تجمعوا ولا تفرّقوا، تستوعبوا ولا تقصوا، العلم فيكم

منارة، تهدي وترشد المبحرين من بني الوطن إلى المرفأ الآمن. ولا شكّ أنكم من أجل المحافظة على الجاذبية الوطنية، قد دفعتم الثّمن غاليا وصدوركم عارية من أجل الوطن؛ فاعفوا.

أمّا أهلنا في الجنوب: بِجَمالِ تنوّعهم، الوطن واحد، لا يستبدل، ولا يقارن بغيره؛ فهم من سُنن حياتهم خوض المعارك الوطنية مع أهلهم في الشّمال، وعندما تكتب عليهم في ديار الجنوب ليس لهم بد إلاَّ النصر أو الاستشهاد. فهم عند نداء الوطن يحسمون أمرهم من أجله، ولا يلتفتوا لأحدٍ سواه، وهكذا هم فعلوا، وسيظلون يفعلون ويعفون.

وأقول لأهلنا منابع الأخلاق الكريمة (أهل البادية) في كلّ المدن والقرى: الوطن بدونكم بلا مذاق، فأنتم كملح الطّعام، لا يحلوّ الوطن إلاَّ بكم؛ منازلكم منازل كرم، وأصلكم أصل المدنية والحضارة، فلكم في ميادين الجهاد ما لكم؛ فأنتم دائما تقدِمونَ على الموت؛ فتكتب لكم الحياة، ذلك لأنّكم والوطن دائما متلازمون صنّاع تاريخ؛ فاصنعوا، واعفوا.

امتدادات العفو العام:

العفو العام في القضية الواحدة لا يفرّق بين مواطن ومواطن، ولا يفرّق بين سيئة وسيئة؛ فالسيئات الكبيرة من الصغيرة، {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}[51]. ولذا؛ فالعفو يمتدّ مع امتداد السيئات ليمحوها، ويفتح صفحة جديدة للمصالحة الوطنية بين الأخوة تحت مظلة الوطن التي تستوعب الجميع، ولا تحرم أحدا من ظلّها الآمن.

فالدّولة الليبية مرّت بتاريخ عصيب، معظمه احتلال أجنبي، وقليله شيء من الحرّية، فقد تحرّرت من الاحتلال الأجنبي عام 1951م، فأسّست دولة نظامها ملكي، لها دستور وطني وراية ونشيد وطنيان، ثم، تمّ الانقلاب عليها بنظام جمهوري، تقلّب

---

[51] النساء 31.

داخل نفسه برايات ثلاث، راية إعلان الجمهورية الليبية، ويتكون من ثلاثة ألوان: (الأحمر والأبيض والأسود)، واستمر العمل به من 1969 . 1972م. ثمّ، غُيّر بلا دستور إلى علم الاتحاد الذي ضم مصر وليبيا وسوريا، 1977م ثمّ، غُير إلى الرّاية الخضراء مع تغيير اسم ليبيا إلى الجماهيرية. بقيت على هذا الحال إلى أن ثار الشّعب الليبي وقلب الموازين انتصاراً، وتمّ تشكيل مجلس انتقالي برئاسة المستشار مصطفى عبد الجليل، وأصبحت ليبيا 2011م دولة تحت فترة انتقالية رفعت فيها راية المملكة الليبية ونشيدها الوطني، حيث لا دستور بعد.

ولأنّ الدّولة الليبية مرّت بما مرّت به من احتلالات وانقلابات، ومؤامرات، وثورة؛ فلا شكّ أنّ لكلٍّ منها جروح، ثمنها يدفع من البعض على حساب البعض؛ ممّا جعل السيئة تلد سيئات، ومن السيئات تلد المآسي. ولذا؛ فالحلّ:

1 . ينبغي طي صفحة المملكة الليبية دستورا ونشيدا وراية، وبدون مكابرة لا عيب أن تؤخذ العبر، ويتمّ الاتعاظ، ويستمدّ الموجب من الموجب، دون أن يتمّ محو شيئا من التاريخ.

2 . ينبغي طي صفحة الجماهيرية نشيداً وراية، ويترك للعبر مداها ليؤخذ منها ما يؤخذ تفاديا من الوقوع في السلبيات وتكرارها، كما يؤخذ منها ما هو موجب بما يفيد يقظة ونهوضاً.

3 . يجب تأسيس الدّولة الليبية الحديثة، وفقا لدستور وطني، ونشيد وراية وطنيان، خاصّان بهذه الفترة التي فيها الدّولة الليبية تؤسّس من جديد.

ومن أجل الحلّ؛ ينبغي العفو العام على كلّ من أخطأ في الحقّ العام اعتبارا من تاريخ انقلاب 1969م إلى تاريخ اليوم الذي سيتمّ فيه استصدار قرار العفو العام. وفي المقابل يبقى العفو الخاص بين أيدي من يتعلّق الأمر بهم وبين المحاكم العادلة.

ولذا؛ فمن يقول: إنّ نظام القذافي قد ظلم، وأفسد، ونهب، وقتل بغير حقّ، فلا شكّ أنّ البعض سيقول: نعم.

ومن يقول: إنّ عددا من الذين حُسبوا على ثورة 17 فبراير قد نهبوا وظلموا، وأساؤوا، وقتلوا بغير حقّ؛ فلا شكّ أيضا أنّ البعض

سيقول نعم، ولهذا، وجب على البعض والبعض أن يعفوا عفواً به تطوى صفحتي النظامين من المظالم والسيئات.

أمّا نظام المملكة الليبية؛ فهو قد عفى نفسه من كلّ عتبة؛ حيث لا اقتتال في عهده، ولا سيئات مؤلمة، مع أنّ الكمال لله وحده. ومن ثمّ؛ فالفرق كبير بين نظام كان نتاج جهاد وطني، وبين نظام كان نتاج انقلاب بالمغالبة، وبين نظام كان نتاج ثورة ترتب عليها اقتتال بين بني الوطن.

وعليه، فمن يقول: يجب الانتقام، فليتذكر اسم الله المنتقم، ويتقّي الله في نفسه ووطنه، ومن يقول وجب الكيد؛ فعليه أن يعرف أنّ الله هو المكيد لكيد الكائدين، ومن يقول ينبغي المكر؛ فعليه أن لا يغفل عن مقدرة خير الماكرين، ومن أراد أن ينزل شدّة بالبعض؛ فليتذكر شدّة الله، ومن يقول العفو؛ فقد رشد، وإلاَّ {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ}[52].

[52] هود 78.

4 . فتح آفاق المصالحة الوطنية لتعود علاقات المودّة بين الأفراد والجماعات والقبائل والمدن والقرى والمكونات السياسية.

5 . الإقدام على بناء ليبيا وطن للجميع؛ فيه الحرّيات تمارس عن إرادة، والسلطة تتداول بين أفراده ومكوناته الاجتماعية والإقليمية والسياسية بكلّ شفافية.

6 . وفي حالة ما لم يقدم المؤتمر الوطني العام على هذه الخطوات؛ تصبح الدّولة الليبية في حاجة لمنقذ، ولأنّ عصر المنقذ الفرد قد انتهى، وجاء عصر الجميع بالجميع، فيجب اختيار مرجعية وطنية (مجلس شيوخ) يُفرز من مجموع الشخصيات الوطنية والقيادات الاجتماعية، (وجهاء ومشايخ وأعيان) وكذلك أصحاب الفكر والسياسة ومنظمات المجتمع المدني. أي: ينبغي أن تلتقي القبائل الليبية والمكونات المدنية الحضرية، والشخصيات التي لها ما لها من رؤية وطنية، لتقرّ مبادئ وطنية يتم الالتزام بها من قبل الجميع، ثمّ تختار قيادة لمجلس مشيختها، تكون له الكلمة العليا في

الدّولة، إلى أن تجرى انتخابات رئاسية وبرلمانية، ويصدر الدستور الوطني الذي به تنظم شؤون الدّولة.

ومن ثمّ؛ فمن يعتقد أنّه منتصر، وبانتصاره كسب حقّا به يختصّ بكلّ شيء، فقد يفاجأ في دائرة غير المتوقّع بأنّه قد ضيّع كلّ شيء، وهذا بالتمام ما حدث مع الإخوان المسلمين في مصر الذين تبؤوا المنصّة فخسروها، ولأنّه حدث بالتمام؛ فلا شكّ أنّه سيحدث في كلّ دولة سياساتها إقصاء وعزل وتهميش.

وعليه:

إن كانت الثورة من أجل ليبيا، فمن أجل ليبيا وجب العفو العام؛ وعلى الثوار الذين ثاروا من أجل ليبيا أن يعفو من أجلها، ويتصالحوا من أجلها، ويصفحوا من أجلها، ويسامحوا من أجلها؛ ويعدلوا من أجلها، ويضحوا من أجلها، ويسهروا من أجل أمنها وسلامة مستقبلها، فهي الوطن الذي يستظل الجميع بظله الآمن. ومن يتقي الله يجد له مخرجاً، ومن لا يتقيه فلا مخرجا له، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[53]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}[54]، وقال تعالى: {وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[55]، وقال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}[56]؛ فاعفوا وأصلحوا.

---

[53] لقمان 33، 34.

[54] فاطر 5، 6.

[55] الحديد 14.

[56] الحديد 20، 21.

المظلة

واحدة، والقلوب شتى

الليبيون جميعهم كانوا جالسين لمدة 42 عاما تحت مظلة الرؤية الواحدة (رؤية معمّر القذافي وحده)، فهوى في حقيقته يأمر فقط، ولا يقبل أن يكون لغيره رأي سواء أكان رأيا سياسيا أم رأيا اجتماعيا أم اقتصاديا؛ فهو يرى نفسه المنظّر، ولا منظّر غيره، ومن يحاول أن يطرح نفسه منظّرا يُطرح أرضا، أو سجنا أو إقصاء وتهميشاً.

ولأنّه كذلك؛ فكانت أوامره مطاعة وتنفّذ، وإلاَّ سيتم التنفيذ في من يعصي له أمراً. وفي هذا الأمر لا يفرّق بين قريب وبعيد، الكلّ يطيع أو الكلّ يقصي، ثمّ يقدّم للمحاكم الخاصّة، وليست للقضاء العادل.

حتى بني قبيلته لم يكن رؤفا عليهم؛ فمن يرفع صوته منهم يُرفع رأسه، كغيره من الأباعد، ولا فرق، ولذلك رُفع (رأس حسن

أشكال، ورأس خميس الغناي، ورأس عبد السلام أخشيبة) وغيرهم من الأقارب.

إنّه لم يترك خيارا لأحدٍ، ولذلك، يصعب اللوم على الأقارب والأباعد على السواء، فمن يقول أحمد إبراهيم قد ألغى اللغة الإنجليزية؛ فهو لا يعرف حقيقة القذافي التي تكمن في: (كلّ شيء من أمري ولا شيء غيره، ولكن حرق الأوراق ضرورة، وبخاصة الأقارب)، ولهذا عمل كلّ ما في وسعه على حرق أوراق الكثيرين من أقاربه خوفا منهم لا خوف عليهم، وعلى رأسهم: (خليفة احنيش، وأحمد إبراهيم، ومسعود عبد الحفيظ) الذين حرق أوراقهم داخل قبيلته وخارجها؛ فهؤلاء لم يكن لهم خيار إلاَّ أحد أمرين: التنفيذ وإلاَّ رؤوسهم ستكون مثل تلك الرؤوس.

وهكذا، كان حال الأقارب من الأباعد: (أعضاء مجلس قيادة الثورة، والضباط الأحرار، والرّفاق، واللجان الثورية، وغيرهم ممن يولّد البعض من البعض)؛ فالقاعدة التي أسّس القذافي عليها نظامه: (الثقة لا تغرس في أحد)، ولهذا، جعل من (الضباط الوحدويون الأحرار) عيونا على أعضاء مجلس قيادة الثورة،

وجعل من (اللجان الثورة) عيونا على الضباط الوحدويين الأحرار، وجعل من أقاربه (القحوص) عيون على بقية القذاذفة، وجعل من (القذاذفة) عيونا على القبائل الليبية، وجعل من (أبنائه) عيونا على أقاربه من (القحوص)، وجعل (الأمن الداخلي) عيونا على الأمن الخارجي، وجعل من (الأمن الخارجي) عيونا على سفاراته في الخارج، وجعل (المخابرات العسكرية) عيونا على أقاربه من الضباط، وجعل (جماعة جلسة الشاي) عيونا على الدولة الليبية، وجعل من (أقلامه) عيونا على أبنائه، وجعل من (النساء) عيونا على الرّجال، وجعل من (أمانة مؤتمر الشّعب العام) عيونا على وزاراته، وكذلك جعل من (البنك المركزي) هو الآخر عينا على وزاراته، وجعل من الليبيين مخبرين بعضهم على بعض، فجعل من أعضاء المؤتمرات الشعبية عيونا على أعضاء اللجان الشعبية، وجعل من المتعلم مخبرا على معلّمه، والجندي مخبرا على قياداته، والعامل مخبرا على ربّ العمل، والمصلّين مخبرين على الإمام، وجعل من (نفسه) عينا على البنك المركزي والنفط، ولهذا، جعل الخوف والحاجة في أنفس الليبيين توأم؛ فخضعوا، وبهذا، حكم ليبيا 42 عاماً، ولهذا، ثار الشعب الليبي على

القذافي. ومن ينكشف أمامه هذا الغطاء؛ فليس له بد أخلاقيا إلاَّ أن يقول: (اعفو).

وقد يحتجّ البعض على التعميم؛ فأقول: لا شكّ أنَّ لكلِّ قاعدة شذّ؛ فهناك البعض الذي قبل بدفع الثّمن سجنا أو قتلا أو هجرة، وهناك من بقي في المنطقة الحرجة بين هذا وذاك؛ فاعفوا.

ولأنّ حقيقة الأمر كما سبق ذكره، فالليبيون لا شكّ أنّهم تحت مظلة واحدة، ومع أنّهم كذلك؛ فهم فيما بينهم مختلفون، فلو أخذنا أعضاء مجلس قيادة الثورة 12 عضواً، فهم في حقيقة أمرهم بعد أن تبيّنوا لم يكونوا على قلب رجل واحد، ولو أخذنا اللجان الثورية مع أنّهم يجلسون تحت مظلة واحدة، لكن لو تُركت لهم حرّية الرّأي للانتماء للأحزاب لكانت انتماءاتهم مختلفة ومتضادة، وهكذا الضباط الأحرار، مع أنّهم مستظلون بمظلة واحدة، لكن قلوبهم شتى. وكذلك أعضاء المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية يستظلون بمظلة واحدة وبين قلوبهم مسافات لا تسمح أحيانا بمبادلة المودة.

وعليه؛ فإنّ هذا التحليل يذكّرني بقصّة الحيوان العالمي التي تقول:

انعقد المؤتمر العالمي للحيوانات تحت شعار المساواة والحرّية للجميع، وحضر المؤتمر مندوبون عن خمس أمم هي: الدّجاج ، الثعالب، الخراف، الذّئاب، والكلاب، وكان البند الأوّل هو: اختيار ممثلين لعضوية المؤتمر. ونظراً لأهمية الديمقراطية في تأكيد نظام الإنابة والتمثيل، لم يحضر رئيس المؤتمر هذه الجلسة حتى لا يؤثّر في حرّية الاختيار، وكانت اللجنة المشرفة على الاختيار معيّنة من قبل الرّئيس الديمقراطي، وعندما بدأت الثعالب بتسجيل اسم ثعلب على أحد صناديق الاقتراع صاح ممثلو الدّجاج معترضين على أن تكون الثعالب الفاشية في لجنة المؤتمر، بل وطالبوا بطردها من المؤتمر، فصاح ممثلو الثعالب وبدأت المشادات لولا تدخل ممثلو الكلاب من أجل ضبط النظام، وطلبوا تأجيل ذلك إلى حين آخر. وأعطيت الفرصة لمندوبي الذّئاب لتسجل اسم من يرغبون انتخابه؛ فسجلوا اسم أحد أبنائهم الديمقراطيين الأحرار؛ فصاح ممثلو الخراف والنّعاج معترضين على دخول الذّئاب الظّالمة حملة

الانتخابات، وبدأت الذّئاب تعوي وتتوعد الخراف بممارسة الديمقراطية بعد انتهاء المؤتمر الموقّر، وكذلك لولا وجود لجنة ضبط النظام لكانت المعركة الديمقراطية داخل قاعدة المؤتمر. وبدأ الضجيج والصراخ إلى أن دخل الدب (رئيس المؤتمر) الذي لا نزاع على مكانه في السلطة، حينها صمت الجميع عن التشاجر، وبدأت الهتافات بحياته إلى مالا نهاية، وكأن الموت لا وجود له في عالم الحياة؛ فشكر من شكر منهم وسألهم عن أسباب الخلاف بينهم. فقال ممثلو الدّجاج: نحن نعترض على وجود الثعالب معنا في ممارسة السّلطة، وقال ممثلو الخراف: نحن نعترض على وجود الذئاب في ممارسة السّلطة معنا أيضاً، وقالت الثعالب والذّئاب معاً: نحن نعترض على وجود الكلاب في لجنة ضبط النظام، حينها ابتسم الرّئيس وقال لهم: ينبغي أن يستمر خلافكم وعداؤكم إلى أن تتأكد الحرية لكلٍّ منكم وفق جهده، وهكذا أنتم ديمقراطيون إلى الأبد، ثم قال: تعتبر الدّجاجة حيواناً عالمياً مثلها مثل الثعالب، ومثل الخراف والذئاب والكلاب، ولهذا ينبغي أن تكون التضحية واجباً عاماً،

وأن أمّة الدّجاج رفيعة الشأن، وتزداد رفعة وشأن وحرّية عندما تتّحد مع أمّة الثعالب في حظيرة واحدة. وينبغي أن تمارس الخراف الديمقراطية والحرّية مع الذّئاب في حظيرة واحدة أيضاً، حتى تتحقّق المساواة بين الجميع، وهكذا ينتهي الخوف إلى الأبد، وفي ختام كلمته شاهد ولاحظ أنّ الجميع يبكي. فسأل نقيب الدّجاج: لماذا يبكي الدّجاج أيّها المحترم؟

يبكي يا سيدي صاحب الفخامة من الخوف (من وحدتنا مع الثعالب).

وسأل نقيب الخراف: لماذا تبكي الخراف أيّها المحترم؟

تكبي يا صاحب الجلالة من الخوف (من وحدتنا مع الذئاب).

وسأل نقيب الذئاب: لماذا تبكي الذئاب يا محترم؟

تبكي من الخوف.

أي خوف تعني؟

الخوف من لجنة ضبط النظام. وأجابه نقيب الثعالب وهو يشكره: إنّنا نبكي يا صاحب الفخامة من الفرحة (من فرحة الوحدة مع الدّجاج).

وفي الختام قال رئيس المؤتمر: ينبغي أن تُنتزع الحرّية انتزاعاً لا أن تقدم على طبق من فضة، وطلب من الجميع عدم الخوف من ممارسة الديمقراطية والحرّية وأن يناقشوا الأمر بعد خروجهم من بوابات واحدة، ويعودوا للانعقاد في يوم الغد بعد أن تتضح عندهم الأمور.

وفي اليوم الثاني حضر الجميع بشكل منظور وغير منظور لمناقشة أهمية الحيوان العالمي؛ فوجد الدُب القاعة غير ممتلئة مثل يوم الأمس، فسأل نقيب الدّجاج عن سبب غياب أعضاء نقابته؟ فأجابه: سيدي، لم يغب أحد كلهم موجودون.

أين هم أيّها النقيب؟

إنّهم يا سيدي في بطون الثعالب، وهكذا كانت الخراف في بطون الذئاب وفق إجابة نقيبهم.

ابتسم الدّب وقال: هكذا هي الحرية تمارس، وهكذا أنتم عيون.

الشخصيّة

الوطنيّة عفوّة

الشخصية الوطنية قد لعبت أدوارا تاريخية كبيرة عبر الزّمن، وستظل في دائرة المتوقّع لاعبة لمثل تلك الأدوار التاريخية، ولكن في دائرة غير المتوقّع قد لا تتمكّن من لعب ما كانت تلعبه من أدوار وطنية، وهنا، تكمن علّة، تستوجب البحث لتعود الشخصية الوطنية هي كما هي عبر التاريخ.

ولأنّ الشخصية الوطنية تمتدّ ثقافة من البدو إلى الحضر؛ فروح العصبيّة في بواديها ظاهرة، وروح المدنية في حواضرها ظاهرة؛ فمع أنّ الشّعب واحد في دولة واحدة، لكن الشّعب لم ينتقل جملة واحدة من البداوة إلى المدنية والتحضّر.

ولذا، فإنّ دائرة غير المتوقّع تقبل بعدم انتقال الشّعب دفعة واحدة من البدو إلى الحضر، ذلك لأنّ الافتراض هو أن ينتقل البدو من البداوة إلى المدنية في وقت واحدٍ عندما يعيشون جميعا في مدينة واحدة ويتشربون ثقافة واحدة، ولكن عندما يتفرّقون بين حياة البداوة في بواديها وصحاريها، وحياة الحضارة في مدنها، فستظل البداوة بداوة، ولن تبلغ المدنية إلاَّ إذا عاشت الحياة المدنية في مراكزها الحضرية، وتشرّبت من العلوم والمعارف والثقافة ما يفيد ويمكّن من التغيير.

ومع أنّ الشخصية الوطنية عفوة؛ لكنّها تفرّق بين ما يجب العفو عنه، وبين ما يجب الصفح عنه، وبين ما ينبغي أن يكون خاضعا للمصالحة والتسامح، وبين ما يجب أن يكون الفصل فيه للقضاء العادل.

ولأنّ الوطن ملك للجميع؛ فلا فرق فيه بين فيدراليين، وبين إسلاميين، وبين علمانيين، وبين قبليين، ومدنيين، الفرق فيه فقط بين من يرى مصلحة الوطن ويعمل من أجلها، وبين من يرى مصلحته الشخصانية، أو الحزبية أو القبيلة.

فالشخصية الوطنية العفوّة، كونها تقبل بالتنوّع، فهي تقبل الآخرين في الوطن (هم كما هم) من أجل جمع شمله، وتقرير مصيره، وحمْل ما يترتّب على وحدته من أعباء جسام من أجل مستقبل وطني مأمول.

ومع أنّ الشّخصية الفيدرالية لا ترى مستقبلا للدّولة الوطنية إلاَّ النظام الفيدرالي، لكنّها في دائرة غير المتوقّع من البعض فإن فاجأها ما فاجأها؛ فبعدها الوطني لا يفارقها، بل سيكون القوّة الدافعة لها للأخذ بالعفو.

وكذلك بالنسبة للأحزاب الوطنية المختلفة؛ فهي لا ترى دولة وطنيّة منظّمة إلاَّ وفق رؤاها المختلفة، ومع ذلك تعفو وتقبل بالوفاق الذي يجعل الوطن دولة مستقلة ذات سيادة، أمّا غير المتوقّع بالنسبة لهم، كلّ شيء يتبدّل مع تبدّل مصالح الأحزاب المنتمين إليها اختلافاً.

وعليه؛ فالوطنيون، لا يرون جمالا للدّولة إلاَّ بتنوّع ألوان طيفها، ولا يرونها دولة ديمقراطية إلاَّ بتداول السلطة فيها، أمّا غير المتوقّع بالنسبة لهم، أن يصبح الوطن دولة دينية أو علمانية.

وعليه؛ فالشخصية الوطنية الليبية مع أنّها لا ترى الوطن إلاَّ دولة واحدة، لكنّها في دائرة غير المتوقّع إن لم تتكاثف جهود الوطنيين فيها، قد تصبح الدّولة دولة فاشلة، أو أنّها دولة بلا هوية، تستباح من قِبل الاستخبارات العالمية، ويهرّب ما يمكن تهريبه من شواهد التاريخ فيها.

وعندما يكون الوطن هذا حاله، تصبح أرضه طاردة، وسماؤه ملبّدة بالغيوم الغبارية، نهاره بلا شمس، وليله بلا قمر، وكلّ شيء فيه يتبدّل. الجار فيه لا يوصي خيرا بجاره، والمعلّم لم يعدّ قدوة حسنة لطلابه، والشيخ لم يعدّ مؤهلا للمشيخية، والفارس لم يعد يركب الخيل، والزّعامة فيه بلا زعامة أصبحت لغير أهلها، والشهوة رأس مال قمّة سلطانه.

وعندما يكون الوطن هذا حاله، يصبح أحراره عبيدا، ومآتمه شهداء، وأفراحه مؤجّلة، وأسواقه منهوبة، وقمامته أعلى من جبال أطلس، غير أنَّ جبال أطلس تغطيها الثلوج، أمّا قمامة الوطن؛ فسكان المدينة كلّ يوم يختنقون من غازاتها السّامة المتطايرة في كلّ غرفة، ومع ذلك، فالوطنيون يعفون.

وفي دائرة غير المتوقّع، رأينا الدّولة الليبية دولة بلا جيش وبلا شرطة، دولة فيها السّلاح بأيدي الجميع، والكتائب المسلّحة (غير الشرعية) تتحكّم في الأمر كرهاً، فيها المؤتمر الوطني العام (المؤتمر المنتخب) بين الحين والحين يُدَاهَم بقوّة السّلاح حتى أنّه بقوّة السلاح، قد أقرّ قانون العزل السياسي كرها، وكذلك تحت ضغط السّلاح تمّ اختطاف رئيس الحكومة علي زيدان في بيجامة نومه.

ولأنّ الأمر قد وصل بحال الوطن إلى هذا الحال؛ فَلِمَ لا ننفض الغبار عن ظهورنا ونقف سويا أمام راية الوطن مولود العقد الاجتماعي، ونقرأ النشيد الوطني:

لا للظلم.

لا للإقصاء.

لا للتهميش.

لا للاختطاف.

لا للعزل السياسي.

لا للحرمان.

لا للهيمنة.

لا للتخوين.

لا للإكراه.

لا للتكميم.

لا للاستثناء.

لا للمظالم والسيئات.

نعم للعفو العام.

نعم للمصالحة الوطنية.

نعم للصفح.

نعم للتسامح.

نعم للعدالة.

نعم لقيم مكارم الأخلاق.

نعم للجيش والشرطة الوطنيين.

نعم لبناء ليبيا وطن للجميع.

نعم للتقدّم العلمي والمعرفي والاقتصادي.

نعم لممارسة الحقوق.

نعم لأداء الواجبات.

نعم لحمْل المسؤوليات.

وعليه؛ فمن ينهض وينفض الغبار عن ظهره، ويقرأ النشيد الوطني مولود العقد الاجتماعي، لن تمسّ خصوصيته وهويته الوطنية، ولكن إن لم يُقرأ النشيد الوطني؛ فسيجد المواطن نفسه ضعيفا أمام من يمتلك القوّة في الوطن، فالذي يمتلك القوّة فيه دون غيره يفرض نفسه على الآخرين كما يفرض سياسته ويفرض رؤيته، وعندما يتأكّد له ذلك يطرح سؤاله على الشّعب:

من أنتم؟

سؤال طرحه القذافي في زمنه، وها هو اليوم السؤال ذاته يتكرّر طرحه من بعض المجموعات التي امتلكت القوّة، ولم تخضع بعد لسيطرة الدّولة الليبية بعد سقوط القذافي. فهؤلاء يقولون: من أنتم؟ لكلّ من يقول لهم: كفّوا أيديكم عن الوطن.

إنَّ الذين يقولون للنّاس من أنتم؟ يرون أنفسهم مختلفين عن غيرهم من النّاس، فالمليشيات المتطرّفة عن سيادة الدّولة عندما يقال لأعضائها عودوا إلى أماكنكم، يقولون لكلّ قائل لهم: من أنت؟ حتى تقول لنا: عودوا إلى أماكنكم؟

فالذين يقولون للآخرين من بني الوطن: من أنتم؟ هم في حقيقة أمرهم بهذا الأسلوب سيجدون أنفسهم قادمين على فقدان الوطن بكامله، سواء أكانوا يدرون أم أنّهم لا يدرون؟ فهم بهذا الأسلوب لا يزيدون عن كونهم متمسِّكين بسلطة أو بحكم في مقابل خسارة الوطن. ومثل هؤلاء هم من يقدّمون مصالحهم الشخصانية على حساب المصالح العامّة وطنيا.

الأخذُ بالعفوِ

أخذٌ

بصفةٍ من صفاتِ اللّه

العفُوِّ المطلق: هو الله، الذي بيده أمر تحقيق الفعل في المعاقبة أو المحاسبة أو المساءلة والعذاب تجاه من لا يستجيب للأمر، ومع ذلك يغفر للمذنب بعدم إنزال العقاب مع أنّ المذنب يستحقّ ذلك، ولهذا؛ فهو العفُوّ بمغفرته ورحمته، وعفوه، أي: إنّه المتجاوز عن السيئات والأخطاء بإعطاء الفرصة للتوبة، بعد ما تعمل أيدي العباد من حسنات، ممّا يجعل الحسنات يذهبن السيئات مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ

عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إلاَّ قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[57].

الْعَفُوِّ هو: "الْوَاضِعُ عَنْ عِبَادِهِ تَبِعَاتِ خَطَايَاهُمْ وَآثَامِهِمْ، فَلا يَسْتَوْفِيهَا مِنْهُمْ، وَذَلِكَ إِذَا تَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا، أَوْ تَرَكُوا لِوَجْهِهِ أَعْظَمَ مَا فَعَلُوا لِيُكَفِّرَ عَنْهُمْ مَا فَعَلُوا بِمَا تَرَكُوا، أَوْ بِشَفَاعَةِ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، أَوْ يَجْعَلُ ذَلِكَ كَرَامَةً لِذِي حُرْمَةٍ لَهُمْ بِهِ وَجَزَاءً لَهُ بِعَمَلِهِ"[58]؛ فاسم الله العَفُوُّ، هو مصدر العفو، والعفوّ هو: "المتَجاوز عن الذّنب وتَرْكُ العِقابِ، وأَصلُ العفو: المَحْوُ والطَّمْس"[59].

والعفوُّ: "هو الذي بيده العفو الشّامل الذي يسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولاسيما إذا أتوا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة؛ فهو سبحانه يقبل التوبة، عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوّ يحب

---

[57] هود 14 ـ 17.

[58] الأسماء والصفات للبيهقي، ج 1، ص 148.

[59] لسان العرب – ج 15 ، ص 72

العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه"[60].

واسم الله العفوّ: يدلّ على ذات الله، وعلى صفة العفو بدلالة المطابقة، وفي دلالة اسم الله العفو على الصفة قال تعالى: {وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}[61]، ثمّ قال: {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}[62].

والعفوّ: كثير العفو عن عباده، وهو القادر على فعل كلّ شيء، {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[63]، هَذِهِ الْآيَة تَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْعَفْوِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالتَّبَارُكِ وَالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَالْعَفُوُّ الَّذِي هُوَ اسمهُ تَعَالَى؛ مَعْنَاهُ: الْمُتَجَاوِزُ عَنْ عُقُوبَةِ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ تَابُوا إِلَيْهِ وَأَنَابُوا، وَلَمَّا كَانَ أَكْمَلُ الْعَفْوِ هُوَ مَا كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ تامَّةٍ عَلَى الانتقام وَالْمُؤَاخَذَةِ؛ جَاءَ هَذَانِ الِاسمانِ الْكَرِيمَانِ: الْعَفُوُّ وَالْقَدِيرُ مُقْتَرِنَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ[64].

---

60 شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، ج 1 ، ص 56.

61 الشورى 25.

62 الشورى 30.

63 النساء 149.

64 شرح العقيدة ، محمد خليل 1، 140.

أمّا العفو؛ فهو الإسقاط المطلق للعقوبة وليس تأخيرها؛ فالمقصود من العفو الإزالة كما تدل الآيات المحكمات: {وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ للتقوى}[65]؛ ولهذا، لم يكن المراد منه التأخير، بل الإزالة[66].

ولأنّه العَفُوُّ جلّ جلاله؛ فهو الذي يعفو عن صغير الذنوب وعن كبيرها للتائب المستغفر؛ فيعفو عن الضعيف الذي لا يقدر على فعل الخير لعلّة الضّعف، أو الكبر، أو لقلة التدبير، ممّا يجعل بعض أفعالهم ذنوباً ليست بكبائر، وهؤلاء جاء ذكرهم في قوله تعالى: {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}[67]، وهنا، فالإشارة واضحة إلى صغر الذنب، وذلك لذكر العلّة، وهي: الضعف المشار إلى أنواعه في هذه الآية وفي آيات أخرى.

---

[65] البقرة **237**.

[66] تفسير الرازي، ج **2**، ص **190**.

[67] النساء **98–99**.

وعَفْوُ اللّهِ عز وجَلَّ عن خَلْقِهِ أوسع من أن يكون بمعنى واحد؛ فالعفو بمعنى أعْفاهُ من الأمْرِ بَرَّأَهُ[68]، وتبرئة العفوّ لعبده خارِج كلّ براءة ما دونه سبحانه؛ فهو الذي يعفو عن ذنب العبد ويبرّئه من ذنبه بالمطلق. وفي مقابل ذلك العفاة من غير الله كثيراً ما يمنّون على النّاس بعفوهم، ولهذا؛ فالعفوّ المطلق هو: الله، والعفوّ بالإضافة هو من يستمدّ صفة العفو من اسمه العفوّ جلّ جلاله، والله يعفو عن كلّ محسن متى ما أحسن بما أنّ الفرصة أمامه متاحة للاستغفار والتوبة، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}[69]، ثم يبدّل العفوّ ذنوب عباده حسنات، مصداقا لقوله تعالى: {إلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[70].

---

[68] معجم العين ج 1 ص 120 .

[69] الأحقاف 16.

[70] الفرقان 70.

ولأنّه لا مطلق للعفو بالمطلق إلاَّ العفوّ سبحانه وتعالى؛ فهل تجد غير الله العفوّ يفعل مثل ذلك؟ إنّه وحده يعفو، ثمّ فوق ذلك يتبع العفو بجائزة عظيمة هي الجنة: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهار خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[71].

وعليه، لا أحد غير الله تعالى يستطيع أن يكافئ المذنب، وإن عاد عن سالف ذنوبه، هذا ممّا لا يقدر على القيام به أحد، وذلك للنقص الحاصل في خلق الإنسان، مقابل الكمال التام الذي يتصف به صاحب العفو المطلق سبحانه وتعالى.

والله عفوّ يحب العفو، ويصفَحُ عن الذنوبِ؛ فيعفو عن المُسيء كَرَمًا وإحسانًا؛ ففضلُ العفو يمثل أيما تمثيل في ذلك الأمل الذي يمنحه للمذنب؛ فهو الذي يعفو عن المذنبين، مهما كانت أنواع ذنوبهم مصداقا لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

[71] - آل عمران **135–136**.

فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[72]، بل يصل هذا الأمل إلى المسرف: وهو الذي تخطّى درجة المذنب بعديد الذنوب وكبيرها؛ فقال العفوّ سبحانه وتعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[73]، فمعنى قوله: (إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً) أي: بالتوبة والإنابة، فالآية تقتضي كون كلّ الذنوب مغفورة قطعاً، وذلك لأنّ صيغة يغفر صيغة المضارع، وهي للاستقبال[74].

العفوُ متحقّق:

ولأنّ العفو مستمدّ من صفة الله العفوّ؛ فلا شكّ أنّه فضيلة خيرة، وقيمة حميدة قابلة للتحقيق على أرض الواقع، ممّا يجعل تحقّقه على أرض الواقع فعلا بين النّاس (بين أيديهم). ولأنّه

---

[72] آل عمران **135**.

[73] الزمر **53**.

[74] تفسير الرازي، ج **13**، ص **272**.

يُفعل؛ ففعله تفضّلي، به يتفضّل أحد على آخر إرادة؛ وهو تجاوز عن رغبة للأخطاء والسيئات التي تمّ ارتكابها في حقّ الذي قد أعفى عمّن ارتكب خطيئة أو ذنباً بشأنه.

ومن ثمّ؛ فالعفو قيمة حميدة وهو من سُنن الحياة بين النّاس عبر العصور؛ فجاءت الأديان وأكدته فضيلة خيّرة، ليبقى معاملة من حُسن الأخلاق الكريمة؛ فبقي قيمة محبّبة في التجاوز عن الأخطاء والذنوب والسيئات، ولذا؛ فهو تنازل عن شيء ما، من أجل آخرين هم أكثر أهمية، أو من أجل شيء آخر هو أعظم.

والعفو قد يكون تنازل بمقابل، كالديّة في مقابل الإعفاء عن الجاني المذنب في حقّه وحقّ الآخرين، أو إعفاء بدون مقابل مادي، ولكن لأجل نيل مرضاة الله ومغفرته.

ولأنّ العفو في مرضاة الله تعالى، كان العفو سببا في إسقاط العقوبة أو المطلب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ والأنثى بالأنثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ

ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[75].

ولأنّه العفُوّ تعالى؛ فهو الذي يعلم بحال من همّ في حاجة للعفو؛ فيعفو عنهم، ومن هؤلاء:

أ ـ المضطر، والاضطرار: حالة مُلجئة للمخالفة على كلّ صعيد، كالحاجة إلى الطعام، إذ يمكن للاضطرار أن يوقع العبد في الحرام، وليس عليه شيء ما دام خارج سور البغي؛ فإذا دخله اختلف الحكم عليه، أمّا إذا حرص العبد على الطّاعة واضطر إلى الوقوع في ما حرّم الله؛ فإنّه يجد الله العفوّ غفوراً رحيماً، {إِنَّمَا حَرَّمَ عليكم الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عليه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[76]، ومن ثمّ، وجب على المؤمن أن يتنبّه إلى فكرة الاضطرار ويعرف معانيها جيداً، ويدرك حدودها بالتحديد،

---

[75] البقرة **178**.

[76] البقرة **173**.

ليستطيع التمييز بين عاصٍ باغٍ، وبين مضطرٍ ذي حاجة؛ فيجعل لكلّ منهما حدّاً كما علّمه المولى عز وجلّ.

ب . العليل، بكلّ أنواع العلل، أصابه العفو برحمته؛ فرفع عنه الحرج فقال: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[77].

ج . الأطفال، وهم الذين يُلتمس لهم العذر في أفعالهم وأقولهم إلى حدٍّ معين هو البلوغ، فإذا أتموه كانوا خارج الاستثناء، {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عليم حَكِيمٌ}[78].

---

77 التوبة **91**.

78 النور **59**.

د . الشيوخ: غير أصحاب الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الطاعنون في السنّ الذين فنت شهواتهم، يقول العفو سبحانه: {غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ}[79].

وهذه الأصناف أولى أن تكون ممّا يلفت انتباه المستخلفين في الأرض كونهم من المحتاجين إلى العون بشكلّ من الأشكال؛ فكان تنبيه العفوّ سبحانه للإنسان رحمة ورأفة بهؤلاء، وذلك ما يجب أن يتحلّى به كونه الحقّ، كما في هذه الآيات إشارات واضحة للمسلم ليكون واسع العفو، وأن يتّسع صدره لكلّ من يحتاج عونه وعفوه الذي هو صفة لمن استمدّ صفاته من العفو عزّ وجلّ.

ومن ثمّ؛ فالعفو، هو تنازل عن حقّ، دون مطالبة لاحقة، مع تسامح إرادي دون إكراه، ويترتّب على العفو طمأنة النّفس ورضاها مع انتظار الزيادة في موازين الحسنات، التي يجازي الله عليها عباده الصّالحين.

---

[79] النور **31**.

وعليه: فإنَّ الله العفوّ المطلق جعل العَفْوَ سنة بين عباده، فوعدهم أن يعفو عنهم ليحبّبه إلى نفوسهم؛ فدعا العبادَ إلى الأخذ بالعفو، ورغَّبهم فيه، ومنَّاهم بالثواب عليه، فقال العفوّ تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا إلاَّ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[80].

إذن، العفو مأمور به، مصداقاً لقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[81].

---

[80] النور 22.

[81] الأعراف 199.

معطيات العفو:

معطيات العفو كثيرة، ومنها:

المعطية الأولى: العفو الذي يحدث خيراً مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ للتقوى}[82]، وقوله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ}[83]. ولهذا؛ فمن لا يعفو، ولا يُصلِح بين النّاس في المواقف واجبة العفو والإصلاح، لا أجر له عند الله، ولأنّ الأمر كذلك؛ فالعفو، والإصلاح، هما مصدرا رحمة؛ فلا ينبغي أن يغفل المؤمن عنهما، ولهذا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عفوّا، يُحب العفوَّ، ويحث عليه.

المعطية الثانية: أن يصير العفو سبباً لمزيد من جُرأة الجاني، وقوّة غيظه، وغضبه، وهذه الآية محمولة على القسم الثاني

---

[82] البقرة 237.

[83] الشورى 40.

{والذين إِذَا أَصَابَهُمُ البغي هُمْ يَنتَصِرُونَ}[84]، والتمييز واجب، لكي لا يكون العفو عن المُصِرِّ كالإغراء له، ولغيره، بارتكاب المزيد من الظلم في حقّ العباد، فلو أنّ رجلاً قتل رجلاً وهو مُصرّ على فعلته؛ فلا يجوز العفو عنه، لأنّ في ذلك تسفيها لمعنى العفو، وتحريضا لآخرين، لسهولة القيام بمثل هذه الأعمال.

ولأنّ العفو فضيلة خيّرة، وقيمة أخلاقية كريمة؛ فينبغي التحفيز عليه، والدفع تجاهه، وإلاَّ لماذا دعا الله العبادَ إلى الأخذ بالعفو، ورغَّبهم فيه، ومنَّاهم بالثواب عليه، مصداقاً لقوله تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[85].

جاء في الآية الكريمة السابقة قوله تعالى: (وليعفوا)، ولم يقل (يعفوا)؛ فقوله، وليعفو، تدل على مفهوم العفو دون تردّد، ومهما كان الأمر؛ فالمستطيع على العفو؛ فليعف ولا يتأخّر، ولا يتردّد،

---

[84] الشورى 39.

[85] النور 22.

ولهذا، كان لحرف الواو واللام قوّة حُجّة السرعة في اتخاذ قرار العفو، ولكن دون التسرّع، ذلك لأجل أن يكون فعل العفو متحقّقا وفقا لما يجب، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم على وجه السرعة حينما عفا عمن دخل البيت الحرام، ودار أبي سفيان، وحتى من دخل داره، وذلك لسماحة الدّين الإسلامي وعفو رسوله الكريم، وتفهّمه ظروف الآخرين.

أمّا لو جاءت (يعفو) بدلاً من (وليعفوا)، لكان التحفيز للعفو في غير مكانه، أي: (يعفوا) توجب العفو، ولكنّها لم تحمل في مفهومها فعل التحفيز والحث عليه دون تردّد.

لقد أوجب الله تعالى على رسوله محمَّد صلى الله عليه وسلم، بأن يعفو عن أصحابه، وغير أصحابه، حتى يكون العفو صفة من صفات محمَّد، وسنّة كريمة من بعده للمستخلفين في الأرض، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ}[86]، وجاء الطلب على دلالة الأمر من الله تعالى لرسوله محمَّد صلى الله عليه

86 آل عمران 153.

وسلم، بأن يعفو عنهم؛ فعفي عنهم طاعة لأمر الله، وحبّاً في قيمة العفو، وترسيخا لها في قلوب المؤمنين من بعده.

ولأنَّ العفوّ من أسماء الله الحسنى؛ فكان صفة من صفات محمَّد صلى الله عليه وسلّم، في عفوه على من صاحبه، وعلى من كاد إليه المكائد، كما هو عفوه عن اليهود الذين نقضوا العهود معه أكثر من مرّة، قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إلاَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[87] يقول الله عزّ وجلّ لنبيه: اعف، يا محمَّد، عن هؤلاء اليهود الذين همُّوا بما همّوا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جُرْمهم، بترك التعرُّض لمكروههم، فإنّي أحب من أحسنَ العفو، والصَّفح، إلى من أساء إليه.

وعليه:

---

[87] المائدة **13**.

لِمَ لا يعف البعض عن البعض في تونس وليبيا ومصر واليمن، طاعة لأمر الله تعالى، واقتداء بسنّة رسوله محمّد عليه الصّلاة والسّلام، واعتزازاً بالنّصر الذي مكّنهم الله منه؛ فعزّهم بعزه، ونصرهم بنصره، وفي المقابل، نزع المُلك ممن نزعه منهم.

ومع أنّ العفو مأمور به (فَاعْفُ عَنْهُمْ)، إلاَّ أنّ اتخاذ قراره أمر صعب، إلاَّ على المؤمنين، ولأنّه صعب؛ فالجزاء عليه عظيم، {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}[88].

[88] آل عمران 133 ، 134.

الفصلُ الثاني

المصالحة الوطنية

المصالحة الوطنية

المصالحة لا تكون إلاَّ بعد خلاف واختلاف، أي: لو لم يكن الخلاف سابقا على المصالحة، ما كانت المصالحة لاحقة له، ولأنّ المصالحة دائما في ملاحقة الخلاف؛ فهي المستشعرة بخطورته، ولأنّها كذلك؛ فهي القادرة على إنهائه بإرادة المختلفين والمتخالفين.

ومع أنَّ الهوة بين المختلفين والمتخالفين تتّسع باتساع المتخالف عليه، أو المختلف بشأنه، لكنّها بينهم تضيق وتطوى بالمصالحة، التي هي دليل إثبات قبول الآخر، وهي المخرج الرّئيس من التأزُّمات، وهي جامعة الشتات الضعيف في وحدة وقوّة، ولكن لا يَقدِم عليها إلاَّ متخلّص من المكابرة (قادر على أن يغيّر ما بنفسه) مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}[89].

ولأنَّ المصالحة مبدأ قرآني، وسُنّة نبوية، ورغبة وميل إنساني، ومطلب أخلاقي، كان لنا في رسول الله عليه الصّلاة والسّلام الأسوة الحسنة، مصداقاً لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[90]؛ فصلح الحديبية الذي جرى بين المسلمين بقيادة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، وبين كفّار قريش في أواخر العام السادس من الهجرة، رغم معاناة رسول الله منهم تسعة عشر عامًا كاملة سبقت هذا الصلح، حيث تعرّض وأصحابه للاضطهاد وبعضهم تعرّض للتعذيب، لكن مع ذلك؛ فقد أجرى صلحاً به تمّ تقبّل الآخرين واستيعابهم، ممّا زاد الإسلام ثقة وقوّة، وسماحة، ومودّة من أجل رسالة خالدة، وأمّة لا يكون وطنها ملكاً إلاَّ لها دون أيّ إقصاء، ولا تغييب، ولا عزل سياسي.

---

[89] الرعد **11**.

[90] الأحزاب **21**.

ومن هنا، ألا يكون الصُّلح قيمة أخلاقية، وضرورة مُلحّة بين أبناء الشّعب الواحد، والأمّة الواحدة، في أيّ مكان، من أجل مستقبل مشترك؟

ثم ألا يكون المُقدِم على الصُّلح طائعا لأمر الله تعالى، وساعيا لتحقيق رحمته على البلاد والعباد! {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[91]، وقال تعالى: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[92].

ولأنّ الإصلاح مأمور به من الله تعالى؛ فقال نبي الله شعيب عليه الصّلاة والسّلام: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ)، ولذا، ينبغي على جميع الطائعين لأمر الله تعالى أن لا يتأخروا عن الإقدام على الإصلاح ما استطاعوا إليه سبيلاً، وإلاَّ فقدوا مفتاحا من مفاتيح الخير، ومن أعظم مفاتيح الخير، هو الصلح بين النّاس مصداقا لقوله تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

[91] الحجرات 10.

[92] هود 80.

ولهذا، لا يمكن أن تهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[93].

ومن ثمّ، علينا أن نتذكّر تجارب الآخرين في المصالحة، وخير مثال في هذا القرن تجربة جنوب إفريقيا التي قادها زعيمه (نلسن مانديلا) بهدف تعزيز الوحدة الوطنية روحا للتفاهم، لتحلّق بهم جميعاً فوق صراعات وانقسامات وخلافات الماضي المؤلمة.

وعليه، لم يكن بعد أيّة فتنة ومواجهة واقتتال إلاَّ الصّلح، وفقاً لضوابط الشريعة المحقّة للحقّ، والزّاهقة للباطل، ووفقاً للقوانين التي يحكم القضاة بها بين النّاس عدلاً.

فالصّلح فضيلة خيّرة، وقيمة حميدة مقدّرة، بين الأهل الذين وصلت بهم الشدائد إلى المقاتلة، واختراق البعض إلى ما نهى الله عنه. ولهذا؛ فإن لم يكن التصالح والعودة إلى ما يرضي النّاس على غير معصية، تصبح أفعال التطرُّف هي العملة الدّاعمة لرفع رأسمال مصارف الدّم .

---

[93] هود **117**.

فعلى سبيل المثال، الاختلافات والخلافات التي نجمت في الدّول التي أطلق عليها (دول الربيع العربي)، خلافات لن تنتهي، ولن يقضي عليها، ولا يخلّص منها، إلاَّ المصالحة الوطنية الكفيلة بإصلاح ذات البين بين الأطراف أو الصفوف المتنازعة والمتصادمة والمتخاصمة، وهذه الأطراف في مجملها تنقسم إلى أطراف.

أطراف

الاختلاف والخلاف الوطني

أولاً، **صفّ** (**مع**) وينقسم إلى صفوف منها:

أ ـ ثوّار، **غايتهم الوطن**، وهم الذين ثاروا على تلك المنظومات من أجل الوطن؛ فقتل أو استشهد منهم من استشهد وانتصر من انتصر، دون أن يكون لهم مساعي شخصانية.

ب ـ ثوار، **في أنفسهم غاية**، وهي الإحلال محلّ تلك الأنظمة، وهؤلاء أينما يحلّون، ستكون مصالحهم على حساب مصلحة الوطن.

ج ـ **الأنصار**، وهم الذين ناصروا الثورات بالكلمة والفعل، دون أن تكون لهم مطامع، ويأملوا أن يصبح حال بلدانهم آمنا، وسلاما، وغنى، وتقدّما، وهؤلاء الأنصار لا يأملون انتكاسة فيها يضيع الوطن.

د ـ **النفعيّون**، وهم الذين يميلون مع كلّ هبّة ريح؛ فإن كانت الرّياح جنوبية، كانوا جنوبيين، وإن كانت شمالية كانوا شماليين، وهكذا إن كانت الرّياح غربية كانوا غربيين، وإن كانت شرقية كانوا شرقيين. فمثل هؤلاء دائما قيمهم تتبدّل وتتغيّر مع تبدّل وتغيّر اتجاهات الرّياح في الفصول الأربعة.

النفعيون دائما مصلحتهم وأطماعهم وغاياتهم قريبة، وفوق الجميع؛ فهم إن تمكّنوا من أخذ المكاسب والمغانم بالأساليب المباشرة أخذوها، وإن تمكّنوا من إظهار تمثيلياتهم في المراوغة والتحايل والمنافقة بما يمكّنهم من أخذ المغانم أخذوها ولو كانت سلباً ونهباً. ومثل هؤلاء يتواجدون في كلّ مكان وزمان، وحتى في المعارك هم يتواجدون، ولكن لم يكن من أجل خوضها، بل من أجل اغتنام الفرص سلباً ونهباً؛ ولأنّهم كذلك؛ فهم يتبدّلون؛ فإن عُدنا لمراجعة أيّام وشهور المواجهة بين الأنظمة الحاكمة وبين الثائرين في كلٍّ من تونس ومصر وليبيا، لوجدنا هناك من كان مع الثائرين في الميادين متحيِّنا للفرصة، التي تمكّنه من سرقة محلّ من المحلات التجارية، ولهذا،

شاهدنا الكثيرين وعلى ظهورهم ما عليها من أمتعة منهوبة، كما شاهدنا السيارات ممتلئة، والسيارات مسروقة، وشاهد غيرنا كما شاهدنا البعض من الذين كتبوا أنفسهم مقاتلين مع تلك الأنظمة التي سقطت كيف يسرقون وينهبون كلّ ما يتمكّنون منه حتى ولو كان تحت إمرتهم كونهم قادة ميدانيين، فسرقوا العتاد والعدّة وخزّنوها في الجبال، ليبيعوها بعد انتهاء المعارك، ومن هنا؛ فالنفعيون هم دائم يكتسبون مغانم، ولكنّهم يفقدون مواقف وطنيّة وقيماً حميدة.

وعليه؛ فهؤلاء بعد انتهاء المعارك منهم من جعل من نفسه بطلا، وادّعى أنّه كان قائداً شجاعاً، وبعد الهزيمة هناك من تظاهر أمام البعض بألوانه الحرباوية بأنّه كان غاضبا ممّا جرى، أو أنّه نادم على ما فعل؛ وفي كلّ الأحوال لا استغراب؛ فهذه لا تزيد عن كونها معطية نفسية من معطيات الشخصيّة الانسحابية المتبدّلة. فهذه الشخصية إن تمكّنت وتصدّرت مع المتصدّرين المشهد السياسي لا شكّ أنّها ستكون عبء ثقيلا على الدّولة،

وهنا، وجب أخذ الحذر، وإلاَّ في دائرة الممكن سيكون غير المتوقّع أقرب بكثير ممّا هو متوقّع.

وإلى جانب هذه التصنيفات، هناك تصنيفات سياسية تَشتّت النّاس بينها وتباينوا، وعلى رأس هذه التصنيفات:

ـ أحزاب وكتل إسلامية:

وهي ألوان طيف، وعلى رأسها أحزاب الإخوان المسلمين في تونس ومصر وليبيا، الذين بقوّة تنظيمهم وتحالفاتهم تصدّروا المشهد السياسي؛ فانتصروا في انتخابات مصر وتونس، كما أنّهم شكّلوا الكتلة الثانية في المؤتمر الوطني العام الليبي.

ومع ذلك خسر الإخوان المسلمون في مصر بعد سنة من توليهم سدّة الحكم، وهم على طريق الخسارة القريبة في تونس، إن لم يستجيبوا إلى مطالب الشّعب الذي يتظاهر في شوارعِ المدن التونسية، وهكذا سيكون الحال في ليبيا، إن لم يصبح المؤتمر الوطني العام مستوعباً لألوان الطيف السياسي الليبي،

دون إقصاء، ولا تغييب، ولا تهميش، ولا عزل سياسي، ولا مغالبة إلاَّ بحكم عادلٍ.

ـ أحزاب وتحالفات أخرى:

أحزاب وتجمّعات وتكتلات غير إسلامية جرت بينها منافسات تحت عنوان الوطن، ولكن كلّا وفق رؤيته، ممّا جعلهم يخسرون تصدّر نتائج الانتخابات التي أجريت في تونس ومصر، ولكن في ليبيا تصدّروها لفترة لم تطول، حيث أصبح حال التحالف الوطني في ليبيا يتأخر إلى المرتبة الثانية، وهو الآن في طريقه إلى التفكك إن لم يعد للقاعدة الوطنية، ولهذا، خسر التحالف في أوّل مواجهة سياسية له عندما عُرض قانون العزل السياسي الذي تمّ استصداره في الميدان الذي هم فيه أعضاء عاملون (المؤتمر الوطني العام)؛ فتصدّع التحالف الوطني الليبي، وأصبحت القرارات داخل المؤتمر الوطني العام تصدر بغالبية إسلامية، بعد أن كانت الغلبة للتحالف الوطني.

ثانيا، صفّ (ضدّ) وينقسم إلى صفوفٍ، منها:

ـ **مترقّبو عودة الماضي** (هو كما هو): وهؤلاء تربّوا على لغة ومنطق شيخ القبيلة، ومثل هؤلاء: لا رؤية لهم إلاَّ ما يراه شيخ القبيلة، ومع أنّ الشيخ قد مات، إلاَّ أنّ آراء الشيخ وإن شاخت؛ فأبناؤه من بعده يرون أنفسهم هم وحدهم الخليفة من بعده، ولا يحقّ لأحدٍ غيرهم أن يصبح شيخا في وطنه وهم على قيد الحياة، ومن هنا؛ فهم واهمون بالعودة.

ولأنّنا نكتب عن صفٍ أو طرفٍ من أطراف الاختلاف والخلاف السياسي، فإنّ المتعاطفين بأسباب اجتماعية، وعصبية، ومنفعيّة، سيكونون في دائرة المتوقّع هم الجند المعتمد عليهم دخول هذه اللعبة، ولكن في دائرة غير المتوقّع، كلّ شيء قابل للتغيير، ومع ذلك؛ فهؤلاء لن يغيروا مواقفهم إلاَّ بعد المقارنة بين ما كان سائدا، وبين ما يجري الآن، وهذه من طبيعة البشر الذين يأملون الأفضل.

- **اللاعبون على الحبال:** وهم المتقلّبون الذين دائما يقولون ما لا يفعلون، وهؤلاء كُثر، ومساربهم بين الصّفوف المختلفة والمتخالفة طويلة وملتوية، وأساليبهم لا تختلف عن أساليب الشيطان الوطني الذي كلّما أطفئت نار في مكان، عمل على إشعال غيرها في أماكن أخرى.

فهؤلاء اللاعبون على الحبال، يصعب عليهم أن لا يكونوا منافقين؛ فهم أكثر من 40 عاماً كانوا يجترّون أخباراً وأقوالاً يعرفونها فاقدة للمصادق، ولكنّهم وكأنّهم كانوا مصدّقين، ولذا؛ فهم في دائرة الممكن سيظلون بين ظاهرٍ وباطنٍ.

ظاهر: وكأنّهم هم المتألّمون أكثر من غيرهم على ما جرى على تلك المنظومة التي فقدت شيخها.

أمّا الباطن؛ فهم قد عبّدوا جسورا مع الصفّ (مع)، ولهذا؛ فهم ظاهر مع الصفّ (ضدّ) وباطن مع الصفّ (مع)، ولكن في حقيقتهم هم لم ولن يكونوا (ضدّ) ولا (مع)، بل هم هكذا لا يجيدون شيئاً سوى اللعب على الحبال.

ثالثاً ـ صفّ الساكنين:

وهم الذين لا يرون شيئا يمكن أن يتمُّ الإقدام عليه سوى التأنّي، ثمّ التبيّن المُمكّن من المعرفة والاختيار، ولكن هؤلاء ألوان طيف، منهم من لا يرى مظلّة آمنة، وتمكّنه من رفع صوته إلاَّ مظلة الوطن، وهناك من يرى أنّ الفرصة أصبحت مواتية للجهويّة، والبعض الآخر ينتظر من يدعوه للمشاركة، ولكن الخوف لم يفارقه بعد، وهناك من آلف نظاما لن يعود ثانية وبالتالي سيطول زمن سكونه، وهناك من يتحسّس أطرافه كونه يؤمن بالتغيير، ولكنّه لم يغرس ثقته في أحدٍ ما لم يستشعر أنّه قد أصبح محلّ ثقة.

ولهذا؛ فَلِمَ لا تُمدّ الأيدي إلى هؤلاء جميعا، ويتمّ استيعابهم وتقبّلهم (هم كما هم) من أجل أخذهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، وهو الأفضل، والأجود، والأنفع، والأفيد وطنياً؟ ومن ثمّ تدور عجلة الدولة بعد أن كانت ساكنة.

وعليه؛ فإنّ جميع الصفوف سواء أكانت (مع) أم (ضدّ) أم (ساكنة)؛ فهي قابلة للتغيير عندما تصبح الحُجج بين أيدي النّاس محقّة للحقّ، ودامغة للباطل وزاهقة له. ولأنّ هذه حقيقة الأمر؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يقول أنا الأقوى.

ومن تمّ؛ فإحقاق الحقّ يتطلّب معرفة من هم مع الوطن، ومن هم ضدّ الوطن، الذي يجب أن تكون العلاقات بين مواطنيه علاقات جامعة لا مانعة لأحدٍ على حساب آخر.

ولذلك؛ فإن كان الاختلاف والخلاف من أجل الوطن؛ فليكن حتى يُحسم الأمر حواراً وجدلاً وبرهانا، ومن ثمّ، تتمّ المصالحة الوطنية التي فيها يتمكّن المختلفون والمتخالفون من دحض الحجّة الخاطئة بالحجّة الصائبة من أجل الوطن.

مبادئ

المصالحة الوطنية

ولأنّ خلافا، واختلافا سياسيا قد ظهر بين الأهل والأخوة، في كلٍّ من تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، بعد تغيير أنظمتها، لذا، لا يمكن أن تعود العلاقات الأهلية والشعبية إلى ما كانت عليه من مودة بين الأخوة إلاَّ بمعالجة المشكل السياسي، ولا يمكن أن تتمّ المصالحة الوطنية إلاَّ بمراعاة القيم الأخلاقية الآتية:

1 ـ **الاعتراف بالآخر**، وذلك من خلال اعتراف الأطراف المختلفة والمتخالفة بعضها ببعض دون اشتراطات تستوجب تنازلات غير موضوعية. ذلك لأنَّ القاعدة الأخلاقية تقول:
(اعترف بي، اعترف بك، وإن أنكرت وجودي طرفاً رئيساً في الوطن، سأنكر وجودك طرفاً يماثلني فيه).

في هذه القاعدة تكمن المشكلة، وفيها يكمن الحلّ أيضاً، أي: تكمن المشكلة في إنكار أحد الأطراف الرّئيسة للطرف الرّئيس الآخر، وفي المقابل، يكمن الحلّ بالاعتراف المتبادل بين الأطراف ذات العلاقة بالمشكلة، وإلاَّ هل هناك من يصدّق في تونس أو مصر، أو ليبيا، أو اليمن، أو سوريا، أن تتمّ المصالحة الوطنية والنّاس لم يعترف بعضهم بالآخر؟ وبخاصّة وأنّ النّاس منقسمون سياسيا في هذه الدّول بين صفّين رئيسيين يتفرعان إلى صفوف أخرى، صفٌّ مع التغيرات التي تحقّقت أمرا واقعا على ساحة الوطن، وصفٌّ لم يكن معها، هي كما هي.

2 - **تقبّل الآخر:** تقبّل الآخر (هو كما هو)، وليس (كما يجب أن يكون عليه)؛ فما يجب أن يكون عليه، هو المأمول الذي يتطلّب جهدا مشتركاً من قِبل المختلفين والمتخالفين؛ وإلاَّ هل هناك من يعتقد أن تتمّ المصالحة الوطنية، والنّاس غير متقبّلين بعضهم بعضاً؟

ولذا، إن لم تَسُد قيمة التقبّل بين الأطراف المختلفة أو المتخالفة، لا يمكن أن يميل البعض إلى البعض الآخر مصالحة؛ فالمصالحة الوطنية هي دائماً متغيّر لاحق لقيمة التقبّل، أي: التقبّل أوّلا، والمصالحة ثانيا (إنْ تقبلتني أتقبلك، وإن رفضتني أرفضك) ومن ثمّ لا شيء لك عندي إلاَّ خلق التأزّمات، والميادين والساحات ستكون شاهداً لي، وشاهداً عليك، أو أنّها ستكون شاهدة بيننا.

إنّ نجاح المصالحة الوطنية يعتمد على سيادة قيمة التقبّل بين المختلفين والمتخالفين، (تقبلني أنا كما أنا، أتقبلك أنت كما أنت) ولكن إن لم تتقبلني (أنا كما أنا عليه)، من حيث الفكرة، أو المعتقد، أو الاتجاه، أو الرؤية؛ فكيف لي أن أتقبلك (أنت كما أنت عليه)؟

ولذا، لا يمكن أن تنجح المصالحة الوطنية إن لم يسد التقبّل بين النّاس قيمة مقدّرة.

3 ـ استيعاب الآخر: الاستيعاب لا يكون إلاَّ عن أخذ عِبر، ورحابة صدر، وتقدير موقف، أو ظرف، وتدبّر واتّعاظ، مع حُسن تمييز بين ما يجب وما لا يجب.

فلسان حال الأنفس يقول: (استوعبني استوعبك، وإن أقصيتني فلا تلمني إن تطرّفت عنك، وتخندقت بعيداً لأخذ الحيطة والحذر، ومن ثمّ اغتنام فرص الانقضاض).

إذن؛ فالعلاقة قويّة بين المصالحة والاستيعاب، أي: لا يمكن أن تتمّ المصالحة بين المختلفين أو المتخالفين ما لم يستوعب بعضهم بعضاً. وإلاَّ هل هناك من يصدّق أن تتمّ المصالحة الوطنية بدون استيعاب؟

الاستيعاب: تحمّل من أجل مصالح مشتركة، وعمل وطني وإنساني وأخلاقي، وهذه من شيم الكبار، وأهل القدوة الحسنة.

ومن ثمّ؛ فالاستيعاب يعني ممّا يعنيه، استوعبني كما أنا بما لديّ من مكاسب ومغانم وآلام، وخسائر، ومعتقد، وانتماء، وفي المقابل أنا استوعبك كما أنت بما تعانيه من مخاوف، وهموم، وآلام، وأوجاع، وخسائر.

وعليه؛ فالمصالحة الوطنية لا يمكن أن تنجح إلاَّ بالاستيعاب، الذي هو لمُّ شمل المختلف والمتخالف من أجل ترسيخ فضائل خيّرة، وقيم حميدة، وأهداف ومصالح مشتركة؛ فالاستيعاب ضدّ التفرّد بالأمر، ومع المشاركة فيه.

4 ـ اعتبار الآخر: اعتبار الآخر قيمة تقديرية للمكانة، بها يتمكّن المواطن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته، وهي وضع حِسابات لمن هم شركاء في الوطن، حيث لا تقليل شأن، ولا تهميش، ولا تغييب، ولا غض نظر، ولكلّ أهميّة وطنية وإنسانية وأخلاقية.

والقاعدة الأخلاقية للاعتبار تنصّ على: (إن اعتبرتني أعتبرك، وإن لم تعتبرني؛ فلا تنتظر منّي اعتبارا)، ولذلك؛ فإن غاب الاعتبار، غابت المصالحة، أي: لا مصالحة إلاَّ والاعتبار سيّد سائدا بين المختلفين والمتخالفين.

وهنا؛ فمفهوم الاعتبار، على معكوس مفهوم الاستهانة، وتقليل شأن الآخرين. ولذلك؛ فإن اعتبرت الآخرين، قدّرتهم وأحسستهم بأهميتهم، وإن أحسستهم بذلك، امتلكت قلوبهم، وإن امتلكت

قلوبهم، تحفّزوا معك إلى الإقدام على كلّ ما من شأنه مأمول وطنيا، ومن ثمّ، تبلغ المصالحة الوطنية مداها عن إرادة ورغبة.

5 - تفهّم ظروف الآخر: التفهّم مراعاة ما عليه الآخرون، وما يمرّون به من ظروف استثنائية، وتفهّم ما يؤلمهم، وما يخيفهم، وهذه الظروف تسري على الأطراف المنتصرة والمنهزمة على السواء، ولكن لكلٍّ معاييره ومقاييسه، ونظرته تجاه الآخر؛ فكما أنَّ المنهزم يخاف ممّا يسلكه المنتصر من سلوك، وما ينتهجه من أساليب، وما يهدف إليه؛ فكذلك المنتصر يخاف ممّا يسلكه المنهزم من أساليب، وما يسعى إليه من أهداف.

ولهذا، إن رغب من رغب إصلاحا بين النّاس المختلفين والمتخالفين؛ فعليه بتفهّم ظروفهم، ولا يغض نظره عنها، فإن غض نظره عنها، فشل في ما يسعى إليه من مصالحة. وإلاَّ هل هناك من يظنّ أن تنجح المصالحة الوطنية بدون تفهُّم ظروف الأطراف ذات العلاقة بمواضيع الاختلاف والخلاف؟

ولأنّ تفهّم الظروف ضرورة موضوعية؛ فهل يمكن أن تحدث أو تنجح المصالحة الوطنية والدّولة لم تنشأ بعد؟

الدّولة التي أعنيها، كيان سياسي، وجغرافي، ووطني، مع وجود جيش وشرطة وطنيين، وعدالة سائدة بين النّاس؛ فهذه كلّها من أركان نجاح المصالحة الوطنية، ولكن إن انعدم ركن منها؛ فلن تنال المصالحة الوطنية نجاحاً.

وإذا افترضنا التقاء النّاس وقبولهم مبدأ المصالحة، ومن ثمّ جلسوا على طاولة الحوار الوطني، وطُلب الجميع العودة إلى ما كانوا عليه من استقرار أمني، وإعادة المنهوب، والمسروق، والمستولى عليه بالقوّة، ومن ثمّ عاد النّاس المهجّرون إلى ربوع الوطن؛ فهل هناك من يضمن أمنهم وسلامتهم؟ أم أنّهم سيكونون بين السندان والمطرقة؟، أم أنّهم سيوضعون في المفرمة؟ ولهذا؛ فإنشاء الدّولة أساس التوافق الوطني، فإن لم تنشأ الدّولة، ستكون المصالحة الوطنية مجرّد مشروعٍ متبنى من المصلحين الذين يخشون الله ويتقونه، والذين يتألمون بآلام الوطن وجروح المواطنين الدّامية.

وعليه؛ فالقاعدة الإصلاحية تؤسّس على: (تفهّم ظروفي أتفهّم ظروفك، وإن لم تتفهّم ظروفي لا تنتظر منّي أن أتفهّم ظروفك)؛ فالوطن كما هو، وطني هو وطنك، ولِمَ لا نكون فيه سويّاً ومعاً؟

هذا بالنسبة للوطن، أمّا بالنسبة للأنظمة؛ فالأنظمة لا شكّ كما أنّها تتبدّل هي تستبدل، ومن هنا، تطوى الصفحات، والأمل يتجدّد، والتاريخ يُصنع، والحاجات تتطوّر، ومشبعاتها تزداد تنوّعاً، ولذلك، وجب تفهّم ظروف البعض مع البعض من أجل مستقبل مشترك ومأمول وطنياً.

6 - تقدير الآخر: نيل التقدير غاية يأملها الجميع (الحرّ والعبد)، ولذا؛ فمن لم يُقدّر الآخرين لن يكون فاعلاً، ولا متفاعلا مع ما يجري من حوله، حتى ولو كانت مصالحة هو أحد عناصرها الرّئيسة أو الفرعية والدّاعمة.

فعدم التقدير، يجعل غير المقدّرين غير مبالين ولا مهتمين، ولذلك فلن يلتفتوا إلى من لم يقدّروهم، ولهذا؛ فالقاعدة المنطقية تقول:

(قدّرني تنال التقدير منّي، وإن لم تقدّرني؛ فلا تنتظر تقديراً مني)، إذن، إذا انعدم التقدير بين المعنيين بالمصالحة؛ فهل ستكون الجهود المبذولة تجاه المصالحة جهودا ناجحة؟

المصالحة إذا لم تؤسّس على تقدير المختلفين والمتخالفين، لن تقوم لها قائمة، ولهذا، وجب التقدير؛ فالمخطئ وفقا لمعرفته ينبغي أن يقدّر، وكذلك المصيب وفقاً لمعرفته ينبغي أن يقدّر، ومن هنا، تبدأ المصالحة بين المختلفين والمتخالفين على قاعدة التقدير، وليس على قاعدة الإهانة وتقليل الشأن، والالتفات عن النّاس وإعطائهم الظهر؛ ذلك لأنّ الذي تعطيه (ظهرك) لا شكّ أنّك ستدفعه لأن يعطيك ظهره، وحينها سيطرح البعض سؤالهم: إذا أصبح الأمر على هذا الحال، فهل يمكن أن تقوم للمصالحة قائمة؟

أقول:

لن تقوم لها قائمة؛ فالذي يُعطي للمصالحة أهمية، ويمكّن أصحابها من النجاح هو التقدير المتبادل، ومن ثمّ تصحيح المعلومة الخاطئة بمعلومة صائبة (حُجّة بحُجّة).

7 - احترام الآخر: مفهوم الاحترام هو دائما في مقابلة متضادّة مع مفاهيم التحقير وتقليل الشأن، والاحترام كونه قيمة حميدة؛ فالجميع يأمله، ولذا؛ فالقاعدة الأخلاقية والمنطقية

تقول: (احترمني أحترمك، وإن قللت شأني فلا تظن إنّك ستنال الاحترام منّي).

ولأنّ موضوعِ بحثنا هو المصالحة الوطنية؛ فالمصالحة الوطنية لا تتمّ بين المختلفين والمتخالفين في الوطن أو عليه إلاَّ بالاحترام المتبادل، ولكن إن انعدم الاحترام بسياسة فرض الأمر كرهاً، أو كما يقولون: (لوي اليد) وقهر الآخرين بالقوّة؛ فلن تجد بذور المصالحة أرضية صالحة لتنمو فيها. وإلاَّ هل هناك من يصدّق غير ذلك؟ أي: هل هناك من يصدّق أن تتمّ المصالحة الوطنية بين المختلفين والمتخالفين في الوطن ولا احترام بينهم؟

فالاحترام كونه قيمة حميدة، يستوعب الأفراد والجماعات ويمتدّ إلى استيعاب المجتمع والوطن؛ ولأنّه الاحترام؛ فهو مرتكز الأمن بين النّاس، وإلاَّ هل يمكن أن يسود الأمن بين الناس إن لم يحترم الناس بعضهم بعضاً؟

ومع أنّ الاحترام قيمة مفضّلة بين النّاس، لكن الخطأ بينهم لا ينقطع، ولهذا، هم دائما في حاجة للاحترام الذي بسيادته يسود الأمن، وتعمّ الأنفس الطمأنينة التي لا تتعكّر أذواقها إلاَّ بفقدان الاحترام، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ

مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا}94. أي: بأسباب سيادة الاحترام لا يمكن أن يَقتل مؤمن مؤمنا إلاّ خطأ، ومع ذلك؛ فالاحترام هو الباقي، ممّا يستوجب من المخطئ أن يحرر رقبة، احتراما للمقتول خطأ، واحتراما لأهله الذين تسلّم الديّة لهم، ومع ذلك؛ فإن تصدّقوا؛ فالله غفور رحيم.

8 ـ غرس الثّقة في الآخرين: غرس الثقة أمر ليس بالهين، فغرسها يحتاج إلى وقت، كما يحتاج إلى إظهار ما يطمئن الأنفس قولاً، وفعلاً، وعملاً وسلوكاً، ويزيح عنها الخوف، والظنون، والشكوك، ويحفّزها على الإقدام تجاه كلّ ما من شأنه أن يؤكّد الكرامة، ويرسّخ قيمة المواطنة، وحرّية الإنسان. لذا، لا يمكن أن تتمّ المصالحة بين المختلفين والمتخالفين إن فقدوا الثّقة المتبادلة بينهم.

ولهذا؛ ففقدان الثّقة يجعل الهوة بين المختلفين والمتخالفين تزداد اتساعاً، ولا أمل في مصالحة وطنية والثّقة ليس لها مكان

---

[94] النساء **92**.

في صدور النّاس. وإلاَّ هل هناك من يصدّق أن تتمّ المصالحة الوطنية، والمواطنون متفرّقون أطرافاً، ولم يعترف أحدهم بالآخر، أو لم يقدّره، ولم يتفهّم ظروفه، ومن ثم لا يثق فيه؟

وعليه؛ فالقاعدة المنطقية تقول: (إن قرّرت أن لا تغرس الثقة فيّ، فلا تلومني إن سحبت الثّقة منك). ومن ثمّ؛ فإن سُحِبت الثّقة من البعض، أو انعدمت بينهم؛ فهل يمكن أن تنجح المصالحة الوطنية؟ أي: هل يلتقي النّاس على هدفٍ مشترك والثّقة بينهم منزوعة أو معدومة.

معايير

المصالحة الوطنيّة

معايير المصالحة الوطنية تتعدّد وتتنوّع بتعدّد وتنوّع الخصوصيات الاجتماعية، والدينية، والقيمية، ولكن لها ما لها من الثوابت الإنسانية التي منها:

1 ـ مراعاة شريعة الوطن وأعرافه:

شريعة الوطن وأعرافه الاجتماعية هما المصدران الأساسيان لاستمداد الفضائل الخيّرة، والقيم الحميدة، التي تغذي الهويّة والذاكرة الرّوحيّة، والعقليّة، والقلبيّة، والنفسيّة، والعاطفيّة، والأخلاقيّة، والذوقيّة.

ولذا؛ فمن يغفل، أو يتعمّد إهمال هذا المعيار، لن يكون له دور مؤثّر في عملية المصالحة الوطنية، كونه قد وضع نفسه أمام التيار الشعبي الذي يولّد الغضب.

ولهذا، فالأخذ بالمواعظ والعبر الدينيّة والأخلاقيّة، وتوظيفها لدفع عجلة المصالحة الوطنية، يُمكّن المختلفين أو المتخالفين من الرسو في المرفأ الآمن.

2 ـ مراعاة ألوان الطيف الوطني:

الوطن بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون مواطنوه نسخة واحدة، بل هم يختلفون ويتخالفون فيما بينهم، علماً، ومعرفة، وثقافة، وأصلاً، ومعتقداً، وأحيانا لغةً، ولهذا لا يمكن أن تتمّ المصالحة الوطنية وهناك تعمّد لغضّ النظر عن مكوّن من مكوّنات الوطن الاجتماعية، أو الدينية، أو اللغوية، أو العرفيّة.

ولأنَّ الوطن ملك للجميع؛ فوجب عدم التغييب، أو التهميش بعلل الأكثرية والأقلية، ولا بأيّة قوانين من قوانين المغالبة؛ فإن سادت قوانين المغالبة، ساد الخلاف بينهم على أشدّه، وبالتالي لن تجد المصالحة الوطنية مكاناً لتحلّ فيه بين النّاس المختلفين والمتخالفين.

ومع أنّ الوطن واحد لشعب واحد، لكن لا يمكن أن يكون الشّعب الواحد كأوراق السّحب نسخة واحدة، فهم مختلفون، ولأنّهم مختلفون؛ فلا شكّ أنّهم يشكّلون كتلا مختلفة، ومن هنا، وجب الأخذ بالاختلاف وفقاً للكتل المختلفة، ممّا يستدعي تمثيل الكتل الاجتماعية في عملية المصالحة دون تغييب كتلة.

3 ـ مراعاة مكوّنات ومناطق التوتّر:

مع أنَّ الوطن واحد لشعبٍ واحد، لكن الاختلاف يعمّ كل أفراده، ولذا؛ فلكلٍّ خصوصيته، ممّا جعل الشّعب الواحد متكوّنا من جماعات ذات خصوصيات مختلفة، ومن هنا، تولّدت فكرة التمثيل للمكوّن الاجتماعي، أو الجغرافي داخل الوطن، من خلال تقسيمات إدارية من أقاليم، أو ولايات، أو محافظات، أو كونتونات، أو بلديات قابلة للتفرّع، وهذه من قواعد تسيير الدّولة بأقل المشاكل.

وعندما تصبح المشاكل ممتدّة بين المواطنين بأسباب سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية؛ فمن الأهمية أن تكون

المصالحة الوطنية جامعة لا مانعة لأيّ مكوّن اجتماعي، أو أيّ مكوّن (إداري جغرافي)؛ فالدّولة الليبية على سبيل المثال، تهيكلت بتقسيمات مختلفة، وتجارب إدارية مختلفة؛ فقد تقسّمت إلى ولايات ثلاث، وتفرّعت كلّ ولاية لمجموعة من المحافظات، وتفرّعت المحافظات إلى مجموعة من المتصرفيات، التي هي الأخرى تفرّعت إلى مجموعة من المديريات، تمّ ألغيت وتهيكلت من جديد إلى بلديات وفروع بلديات، وشعبيات، وها هي اليوم من جديد في حاجة لإعادة بناء هيكلة إدارية جديدة.

وبتشخيص الحالة الليبية، وفقاً لما هي عليه من اختلافات وخلافات، يلاحظ أنّها بعد الثّورة قد تقسّمت ذاتياً بين مناطق ثائرة، ومناطق مؤيّدة، ومناطق معارضة، ومناطق بين هذه وتلك، ممّا جعل الصّدام والنّزاع والخلاف بين من هم (مع) وبين من هم (ضدّ)، وبين من هم بين البينين، حتى أصبح الصدام بينهم وكأنّه زئبق يمتدّ ترمومتره بين (ارتفاع وانخفاض).

وإن أريد للمصالحة الوطنية النّجاح، ولمن يتبناها التوفيق، ينبغي أن يكون حوار المصالحة جامعا لا مانعا للمختلف والمخالف، وفقاً للكتل والمكونات الاجتماعية والجغرافية. كما ينبغي أن لا يغفل عن مناطق التوتر وبخاصّة التي لها قيادات اجتماعية، ومنها رموز وطنية.

4 ـ الأخذ بالذّاكرة الوطنية:

الذّاكرة الوطنية هي المكمن للمخزون القيمي، والأخلاقي، والمعرفي؛ فكبار الوطن سيظلون كباراً، وكبار العائلة سيظلون كباراً، وكبار القبيلة سيظلون كباراً، وكبار العلم سيظلون كباراً، وكبار السياسة سيظلون كباراً، وكبار المواجهة سيظلون كباراً، وفي المقابل صغار القوم سيظلون صغاراً.

ولهذا، إنْ أريد للمصالحة الوطنية نجاحاً؛ فعلى المصلحين أن لا يغفلوا عن كبار القوم، حتى ولو كانوا أفراداً مستقلّين. وكما يقولون: من لا كبير له، لا مقام له عند الآخرين، ولهذا؛ فمن فقدوا كبيرهم أو ضيّعوه، فعليهم بالبحث عن كبير، وإلاَّ

سيظلون مجرّد جنود وألعوبة وبيادق بأيدي العارفين والمتفهّمين والمتضلعين في ممارسة السياسة والعلاقات الاجتماعية والوطنية.

5 ـ مراعاة حقوق المواطنة:

ولأنّ الوطن ملك عام لمواطنيه؛ فلا شكّ أنّ لكلِّ مواطنٍ حقوقا، وواجبات، ومسؤوليات، وكلّها واجبة الممارسة، والأداء، وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

ومن ثمّ، وجب مراعاة حقوق المواطنة، دون حرمان ولا إقصاء، ولا تغييب، ولا هيمنة، وإن حاول من حاول العمل على حرمان مواطنٍ من ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤولياته، وجاء ليصلح من بعدها بين المختلفين والمتخالفين، لا شكّ أنّه لن يُفلح، وبهذا، لن تجد المصالحة سبيلا للنجاح.

وعليه؛ فإنَّ تمكين المواطنين المختلفين والمتخالفين من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسؤولياتهم هو أكبر قاعدة وطنية وأخلاقية للمصالحة الوطنية، وفي المقابل حرمان

البعض من ذلك، يوسّع قاعدة الرّفض، ويحفّز على التمرّد، ويدفع إلى المواجهة والتطرّف، والقبول بالموت ثمناً للحياة الحرّة.

وإن ظنّ من ظنّ غير ذلك، أقول له: أرجوك أن لا تسعد ولا تفرح بحرمان البعض من ممارسة أعمالهم ووظائفهم، كما أرجوك أن لا تسعد ولا تفرح بما اغتصبت من مساكن، أو استوليت عليه من مزارعِ بعض المواطنين، وأرجوك أن لا تسعد ولا تفرح بمن اختطفته كرها؛ وتأكد إن فعلت، ولم تصلح حالك مع من اعتديت عليهم ظلما، سيكون أمرك بين يدي الله الشديد المنتقم، وسيتم التربّص بك من قبل أولئك الذين ظننت أنّهم سيظلون خائفين، أو ظننت أنّهم جبناء.

إذن، لا مفرّ من المصالحة في مرضاة الله إلاَّ إليها، وإلاَّ ستكون الحرب الأهلية هي الفيصل بين بني الوطن، ومن يعتقد أنّه اليوم يمتلك القوّة؛ فعليه أن يعرف أنّ القوّة وحدها لن تحسم الصراع، بل الذي يحسم الصراع هو شدّة الظلم واقتراف الجرائم وارتكاب المحرّمات التي تجبر المظلومين على قبول الموت ثمنا للحياة.

6 ـ مراعاة قيمة الإنسان:

الإنسان الذي خُلق على حُسن التقويم، هو قيمة مقدّرة في خَلقه، ولهذا، لا ينبغي أن يُقهر، ولا يظلم، ولا يذلّ، ولا يعزل سياسيا بغير حقّ.

ولأنّه خُلق على حُسن التقويم؛ فهو القيمة ذات البعد الإنساني الذي يُقدّر معتقده، وأصله، وعرفه، ولغته، وما به من خصوصية يتميّز بها عمّن يتميّزون عنه بخصوصياتهم.

ولأنَّ الإنسان قيمة في خَلقه؛ فلا ينبغي تقليل شأنه وترخيص مكانته، أو المساس بكرامته، أو المساومة على خصوصيته، ويجب أن تبدأ المصالحة الوطنية؛ فتبدأ بما يؤكّد قيمة الإنسان وكرامته، ولكن إن غفلت المصالحة الوطنية عن هذه القيمة، أمست في غفلة لا صحوة لأصحابها من بعدها.

ولسائل أن يسأل:

إذا كانت هذه قيم ومعايير المصالحة الوطنية؛ فكيف تكون المصالحة؟ وبمن تكون؟

أقول:

من حيث الكيف، ينبغي أن تكون على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة ذات المعايير الأخلاقية، أي: تكون على قيم الاعتراف بالآخرين، واحترامهم، واعتبارهم، وتقديرهم، وتفهّم ظروفهم وخصوصياتهم، واستيعاب رؤاهم وحتى شطحاتهم، مع قطع الطريق على كلّ ما من شأنه أن يشعرهم بشكوك أو ظنون.

أمّا بمن تكون المصالحة الوطنية؟ فهي لا تكون ذات أهمية إلاَّ إذا شارك فيها كلّ ممثلي ألوان الطيف الوطني، فعلى سبيل المثال، في ليبيا لا يمكن أن تنجح المصالحة الوطنية ما لم يكن ممثلوها من الطوارق، والتبو، والأمازيغ، والعرب، ولأنَّ الاختلاف والخلاف قد تفشّى داخل هذه المكونات الاجتماعية (ألوان الطيف الليبي)؛ فوجب البحث عن عناصر من داخل هذه المكوّنات تكون قادرة على تمثيل الأطراف المختلفة والمتخالفة.

ولأنّ الاختلاف والخلاف كان بأسباب سياسية قسّمت الليبيين إلى كتل كبيرة (كتلة مع، وكتلة ضدّ، وكتلة ساكنة)؛

فالكتلة ضدّ، هي التي حَسبت نفسها النظام الذي طويت صفحاته، أو أنّها حُسبت على ذلك النظام الذي لم يعد رأسه على قيد الحياة.

أمّا (الكتلة مع)؛ فهي التي حُسبت أو حَسبت نفسها ثائرة؛ فانتصرت، وتمكّنت من السّلطة ومقاليد القوّة في البلاد؛ فحكمت. ومع ذلك ظل الاختلاف والخلاف بين (المنتمين لتلك الكتلة، والكتل الأخرى) فأصبح الاختلاف والخلاف بينها بين قبول ورفض، وبين هيمنة وحرمان، وبين حقوق تمارس، وحقوق مسلوبة، نتج عنها إقصاء، وحرمان، وعزل سياسي؛ فمُزّقت اللحمة الوطنية والاجتماعية بين هجرة داخلية وخارجية، حيث فارقَ بأسبابها البعض الأسرة والأهل، والمسكن والقرية، وفارق البعض بأسبابها الوطن بأكمله؛ فكانت الآلام في الصدور والأوجاع ضاغطة عليها.

أمّا الكتلة (السّاكنة)؛ فهي التي لم تقرّر بعد، ولكن كثيرا منها أصبح يقارن بين ذلك النّظام الذي طويت صفحاته، وبين هذا النظام الذي فتحت أبوابه، فهذه الكتلة هي أكبر الكتل الوطنية

والاجتماعية، وهي رافضة للظلم ماضٍ وحاضرٍ، ولهذا، لن تنجرَّ بسهولة كما يظن البعض، ذلك لأنّ مقياسها الأساس هو حرّية الوطن، وسلامة ثرواته وأراضيه، وأمن مواطنيه دون أيّة تفرقة أو تمييز.

وعليه؛ فإن أراد من أراد مصالحة وطنية بين الليبيين؛ فعليه بتقوى الله حتى يتمكّن من حمْل هذا الثقل، ويتمكّن من تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء جِسام، وعليه أنْ لا يغفل عن أهمية تحقيق الأمن، وسلامة المختلفين والمتخالفين بعد إتمام عملية المصالحة، ولكن إن غفل عن أهمية تحقيق الأمن وسلامة الجميع؛ فلا شكّ أنّ انتكاسة مؤلمة ستحدث، ممّا يجعل العودة إلى المصالحة ضرب من الخيال. ومن تمّ تصبح رحى الحرب الأهلية طاحنة.

كيفية

المصالحة الوطنية

ولأنّها المصالحة الوطنية؛ فهي لن تكون إلاَّ بالكيفية الآتية:

1 . مبادرة من المتألّمين بآلام الوطن وأوجاعه، المؤمنين بما أمر الله به وما نهى عنه، إنّهم القادرون على التمييز بين ما يجب ويقدمون عليه، وبين ما لا يجب ويجتنبونه، ومع ذلك؛ فإن لم يكن أهل الخارج (الغرب والشرق) راضين عن المصالحة بين المختلفين والمتخالفين، وأهل الداخل قابلين بها، فلن تتحقّق المصالحة الوطنية، ممّا يجعل جهود المبادرين لا تخرج عن كونها جهودا في مرضاة الله. ذلك لأنّ (الغرب والشرق) في اعتقادي لا يأملون قيام دولة قوّية في ليبيا، ولا في تونس، ولا في مصر، وكذلك لن تكون قويّة في سوريا، لا لشيء إلاَّ من أجل ضمان التبعيّة، ولكن العرب من طبائعهم الرّفض، ولهذا؛

فالعرب وإن ضعفوا ووهنوا؛ فلن يقبلوا بتبعية تلغي هويّتهم ومعتقدهم، ومن هنا؛ فهم يقبلون الموت ثمنا لنيل الانعتاق، وبخاصّة من الذين لا يؤمنون برسالة محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

ومن ثمّ، يجب أن تسير المصالحة الوطنية جنباً إلى جنب مع العمل على تحييد الآخر المُعيق لبناء الدّولة الوطنية القويّة تجنّباً للفشل.

ومع ذلك، يفضّل أن يكون الآخر شاهداً على عملية المصالحة الوطنية، ولكن لا ينبغي أن يكون أحد عناصرها الرّئيسة؛ فمنطق الليبيين تجاه بعضهم البعض وإن اختلفوا، سيكون مقدّرا لموروثهم العرفي ومعتقدهم الديني، وهويّتهم الوطنية، ولكن إن كان بينهم أجنبي على طاولة المصالحة الوطنية؛ فالأصوات بينهم ستكون مرتفعة، وقد لا يجد التقدير بينهم مكانا يلتحق به.

2 . أن تكون إدارة المصالحة الوطنية مشتركة من الأطراف الرئيسة (طرف مع، وطرف ضدّ، والطرف الساكن)، وإلاّ سيكون حوار المصالحة الوطنية مجرّد حوار طرشان؛ فعلى

سبيل المثال: إذا تشكّلت لجنة المصالحة الوطنية واقتصر تشكيلها على الطّرف المنتصر فقط؛ فمع من سيتحدث الطرف المنتصر؟ إذا حدث هذا الأمر؛ فستكون الصورة أو المشهد متكوّنا من ممثلي الطّرف المنتصر في الصدارة، أمّا مجموعة الطرف الآخر إن حضرت ستكون حاضرة وكأنّها في جلسة استماع، وهذه الصورة تظهر، وكأن الاختلاف والخلاف بين من هم متصدرو طاولة المصالحة، وبين الجالسين للاستماع، وهذه لا تعكس صورة الواقع حيث وجود الاختلاف والخلاف بين الأطراف الليبية (مع، وضدّ، و ساكن).

ولهذا، يجب أن يكون ممثلو الأطّراف المختلفة والمتخالفة على طاولة الوطن من أجل أن تدار المصالحة بمنطق نحن معا ونحن سويّاً. وإن لم يتمّ الأخذ بذلك ستكون إدارة المصالحة الوطنية كالعجلة في الوحل كل ما تحاول أن تدور إلى الأمام تغوص في الوحل.

3 . أن يؤسّس حوار المصالحة الوطنية على المنطق لا على اللغة؛ فاللغة في كثير من الأحيان تخدع مستمعيها تعبيراً وأسلوباً. أمّا المنطق؛ فهو، (حُجّة بحجّة)، ومن هنا؛ فالحُجّة تدحض الحجّة، وليس كما هو حال اللغة التي في بعض الأحيان تجعل البعض ألعوبة بين مفهوم ومفهوم، وبين دلالة ودلالة، وبين معنى ومعنى.

4 . أن تكون المصالحة الوطنية مؤسّسة على قاعدة الاعتراف المتبادل، ومن هنا، ينبغي أن يكون أعضاؤها دون استثناء معترفين ببعضهم البعض، ومن ثمّ، تبرز الشخصية الوطنية التي تعترف بأنّ الهزيمة أمر واقع، وأن الانتصار أمر واقع، كما أنّهم يعترفون بأنّ لكلّ طرف حقّا لا ينبغي أن يحرم من ممارسته، دون أن تكون ممارسته على حساب ممارسة الآخرين لحقوقهم.

وعليه؛ فالقاعدة تنصّ على: (اعترف بي، أعترف بك، وإن أنكرت وجودي؛ فلن تنال اعترافاً منّي).

5 . أن يكون المتحاورون متقبّلين بعضهم البعض، كما يتقبّلون أيضاً ما هو سالب، وما هو موجب، وأن يعملوا على تثبيت

الموجب، وإزالة السلبي أو تصحيحه (تصحيح المعلومة الخاطئة بمعلومات صائبة)، ولهذا؛ فالقاعدة المنطقية تقول: (تقبلني أنا كما أنا، أتقبلك أنت كما أنت).

6 . أن يكون المتحاورون من أجل نجاح المصالحة الوطنية مستوعبين بعضهم البعض، ومن لم يستوعب الآخرين، لا يمكن أن يكون عضواً ناجحا في لجنة المصالحة الوطنية، بل سيكون عبئا ثقيلا. لأنّ المنطق يقول: (إن استوعبت الآخرين استوعبوك، وإن أقصيتهم أو عزلتهم أو غيبتهم، فلن تجد منهم إلاَّ إقصاء وعزلا وتغييباً)، ولذا؛ فالمصالحة الوطنية لن تقوم لها قائمة إلاَّ بالاستيعاب.

7 . أن يكون الحوار من أجل المصالحة الوطنية، مؤسّسا على إظهار قيمة الاعتبار، أي: اعتبار البعض للبعض دون تقليل شأن لأحدٍ منهم (اعتبرني أعتبرك، وإن قللت شأني؛ فلا شأن لك عندي).

8 . أن تكون المصالحة الوطنية مؤسّسة على التقدير الذي يستشعره الجميع، ويجعلهم يميلون تجاه بعضهم البعض،

ويزيدهم تمسّكا بالمصالحة الوطنية. ولذا؛ (فإن قدّرتني نلت التقدير منّي، وإن استهنت بحالي سأستهين بأحوالك).

9 . أن يكون المتصالحون متفهّمين ظروف بعضهم البعض، من خلال تفهّم ظروف الخاسر وظروف الكاسب، وكذلك تفهّم ظروف المتقبّل وظروف الرّافض؛ فعندما يكون الخاسر قد فقد الكثير، أو أنّه فقد كلّ شيء، ألا يكون تفهّم ظروفه ضرورة أخلاقية وإنسانية لا يليق بعاقلٍ أن يغض النظر عنها؟ ولذلك، (تفهّم ظروفي وما ألمّ بي، أتفهّم ظروفك وما ألم بك، وإن قرّرت غير ذلك؛ فلن تجدني من المتفهّمين)، ومن هنا، تفترق الطرق، وتزداد المسارب الملتوية صعوبة في الأراضي الوعرة، والمملوءة بالأشواك.

10 . أن تكون المصالحة بين المختلفين مؤسّسة على الاحترام المتبادل، (احترمني تنل الاحترام منّي)؛ فهذه القاعدة المنطقية لا يقدر عليها إلاّ محترم قولاً وعملاً وسلوكاً، ولذا؛ (فإن لم تحترمني ستجدني في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع).

ومن أهم اشتراطات الاحترام أن تكون الأطراف المختلفة والمتخالفة متساوية في دائرة المصالحة الوطنية، ولكن إن أراد البعض أن تكون له المكانة العليا في مقابل أن تكون للآخرين المكانة الدنيا؛ فلا مصالحة، وبذلك تصبح المقاطعة والمواجهة هي الملجأ الذي لا خيار عنه.

11 . أن تكون المصالحة الوطنية مدفوعة بقوّة المتحاورين تجاه ما يمكّن من غرس الثّقة بين البعض والبعض؛ ولهذا؛ (فإن أحسستني بأنّني محلّ ثقة، كسبتني، وحفّزتني على أن أغرس الثقة فيك). فالثقة بين النّاس تدفعهم تجاه بعضهم بعضاً، كما تدفعهم إلى العمل من أجل تحقيق الأهداف الوطنية المشتركة.

12 . أن تكون المصالحة الوطنية قائمة على ترسيخ قيمة الكرامة الشخصية، والأخلاقية، والوطنية، والإنسانية، التي تجعل للإنسان مكانة تستوجب التقدير، والاعتبار، والاحترام، ولذا؛ (فإن توقّفت دون كرامتي، توقفت دون كرامتك، وفي المقابل، إن خدشت كرامتي، ليس لك عندي إلاّ القصاص)

مصداقاً لقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[95].

---

[95] البقرة 179.

أساليب
المصالحة الوطنية

أساليب المصالحة كثيرة، وعلى رأسها:

1 . البدء مع النّاس من حيث هم: من أجل نقلهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، ومن ثمّ، لا يمكن أن تنجح المصالحة الوطنية إذا بُدئ مع الأطراف المختلفة والمتخالفة بما يجب أن يكونوا عليه؛ فما يجب أن يكون عليه، هو المستهدف دائماً (المستهدف تحقيقه أو بلوغه)، وكذلك لا يمكن أن تنجح المصالحة الوطنية ومنطق حوارها غير مراعٍ لظروف النّاس ومستوياتهم التعليمية، والثقافية والعقائدية، والفكرية، والاجتماعية التي عليها أحوال المستهدفين بالمصالحة.

فللمثقف لغة ومنطق، وللمتعلّم لغة ومنطق، وللأمّي لغة ومنطق، وللعصبية لغة ومنطق، وللمدني لغة ومنطق؛ فإن لم تراع

هذه المستويات المعرفية، تصبح لغة المصالحة ومنطقها فاقدين للأسلوب الممكن من التفاهم.

إذن، البدء مع النّاس (من حيث هم)، يؤدّي إلى تمكينهم ممّا يجب أن يكونوا عليه إرادة، أمّا البدء معهم وفقاً لما يجب، لا يكون إلاَّ كرها، ولهذا، فالإرادة والرّغبة لا يكونان متلازمين مع المصالحة الوطنية إلاَّ إذا كانت البداية مع المختلفين والمتخالفين (من حيث هم عليه)، وبهذا، يتمّ التمكّن من بلوغ الغايات المرجوة والمأمولة وهي: (ما يجب أن يكونوا عليه وفقاً للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة وما تستوجبه الضرورة الوطنية).

2 . تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومة الصائبة:

أي: عندما يكون النّاس متخالفين على الوطن أو على الدّين، تأكّد أنّهم لا يتخالفون إلاَّ بأسباب المعلومات الخاطئة التي تشربها البعض، أو الأخبار الكاذبة التي سمعها البعض الآخر.

ومن ثمّ، وجب تصحيح المعلومات الخاطئة والأخبار الكاذبة بمعلومات وأخبار صائبة وصادقة حتى يتمكّن المختلفون والمتخالفون من التبيّن، مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[96]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[97].

إذن، عندما يشتدّ الاختلاف والخلاف بين النّاس وجب التبيّن، الذي به تتمّ المعرفة العادلة، التي بها يتمّ تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ذات أدلة ثابتة، وبراهين بيّنة.

3 . تفطين الغافلين عن الحقيقة: أي: تفطين المختلفين أو المتخالفين بما يجب أن ينتبهوا إليه سياسة واقتصاداً واجتماعاً وأخلاقاً، حتى لا يكونوا بأسباب الغفلة على حالة من الصدام والخصام والاقتتال.

---

[96] النساء **94**.

[97] الحجرات **6**.

ولأنّ الغفلة تجعل الإنسان على غير تبيّن، لذا؛ فإن أقدم من أقدم على المصالحة الوطنية وهو على حالة من الغفلة، وعدم دراية بحقيقة ما سيتم بعد موافقته وقبوله بها، فقد يدفع الثّمن مضاعفا إذا ما قورن بأخذه بها مطمئنا عن وعي ودراية.

ولهذا، لا يجوز من المصلحين أن يزيّفوا وعي النّاس غفلة وعدم دراية؛ أي: لا ينبغي تزييف وعي المختلفين أو المتخالفين تحت أيّة مظلة حتى وإن كانت المصالحة الوطنية، بل يجب تبيان الخطأ وتصويبه، وتبيان الصواب وتثبيته، وذلك بما يمكّن من الحياد عن الخطأ، ويمكّن من الأخذ بالصواب (حقيقة) دون غفلة ولا تزييف وعي.

4 . ترسيخ قاعدة (نحن معاً) و(نحن سويّاً): وذلك لأجل الانحياز والولاء للوطن، بدلا من الولاء والانحياز للأشخاص؛ فالأشخاص دائما يتبدّلون ويتغيّرون، أمّا الوطن؛ فلا يتبدّل ولا يتغيّر، ولهذا، ينبغي أن تتمّ المصالحة الوطنية وفقاً لقاعدة (نحن معا، ونحن سويّا)؛ فهذه القاعدة لا مكان فيها للانحياز، ولا للعصبية، ولا للإكراه، بل المكانة فيها للمواطن دون سواه.

ولذلك؛ فمن يميل أو يحيد عن هذه القاعدة، لا يليق أن يكون عضوا في لجنة المصالحة الوطنية، ومع ذلك فإن تمّ اختياره عضوا فيها، لا يمكن له أن يكون عضوا فاعلاً. ولهذا؛ فالمُمكّن من بلوغ حلّ التأزّمات، وإزالة الآلام والأوجاع، هو المنطق المرسّخ لقاعدة (نحن معاً، ونحن سويّاً) من أجل الوطن.

5 . **أخذ العِبر:** تؤخذ العبر من الدّين، والعرف، والتّاريخ الوطني، ترسيخا للشخصية والهويّة الوطنية، التي ينبغي أن تُجرىَ المصالحة من أجلها؛ فأخذ العبر يمكّن من الاتعاظ الذي بدوره يُمكّن المعتبرين من الذاكرة، وفي هذا الشأن التاريخ ملئ بالتجارب والدروس.

مواقف لا تغفل عنها

المصالحة الوطنية

امتدت مواقف المواطنين في دول ما سمي بالربيع العربي بين مواقف الثورة ومناصرتها وتأييدها، ومواقف المنتقدين والمضادين لها، ومواقف الساكنين وكأن الحياة ساكنة، ولكن لكلّ مبرراته، ومنها:

. في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع كلّ شيء ممكن، ولكن لكلّ أسبابه، وعلله ومبرراته؛ فهناك من كان من المنتقدين لأنّه كان يؤدّي رسالة عضو الأمن السرّي في ذلك النظام الذي أسقط به أرضاً، والذي من مهنة مجنّديه إظهار ما لا يبطنون، وهذه من معطيات مهن المجنّدين في سلك المباحث والأمن

السرّي، الذي ولاء كثير من عناصره لرأس النظام وليس للوطن.

. هناك من تمّ وعدهم في الوقت الميّت بما تمّ وعدهم به (الزّمن الذي لم يعدّ فيه النّظام مسيطراً على زمام الأمر)؛ فأصبح أولئك الموعودون بما تمّ وعدهم به، أو دفعه لهم، غير قادرين على البقاء صامدين على مواقف عنادهم للنظام السابق، وهذه المواقف لا تحدث إلاَّ من الذين لم يرتق وعيهم بأهميّة الوطن، وحرّية مواطنيه.

. هناك من لا يفرّق بين تحيّة العلم (الرّاية) وتحية الحكومة، أي: لم يفرّق بين الوطن، وبين المتحكّم في أمر الوطن.

. هناك من النّاس من غيّر موقفه عنادا ونكاية في البعض، وبخاصّة من الذين غيّروا مواقفهم من التبعية لرؤوس الأنظمة السابقة، إلى مواجهتهم، ومثل هؤلاء لا يزيدون عن كونهم من الغافلين الذين تجري المياه من تحت أقدامهم حتى غرقوا؛ فألقوا بأنفسهم إلى التهلكة.

. هناك من كان له أُناس من قريته، أو مدينته، أو من قبيلته، أو حتى من أقاربه وأسرته، يحسبهم لن يخالفوا رأس النّظام السّائد في بلاده، ولكن لأنّ حقيقة أمرهم غير مكشوفة لمن كانت حساباتهم خاطئة في اتخاذ هذه المواقف وما يماثلها؛ فكانت المفاجأة مدهشة لهم؛ ففاجأتهم بعلامات التعجّب والاستغراب، وجعلتهم على موقفٍ لا ينظرون منه لأسود إلاَّ غراباً، ممّا دعاهم إلى توجيه عنادهم لمن انتمى للثورة من أقاربهم، أو أصحابهم ومعارفهم، ولكنَّ عنادهم ضلّ طريقه؛ فأخذهم العِناد إلى تلك المسارب التي ثار الشّعب على أصحابها؛ فأصبح هؤلاء لا مهمّة لهم، إلاَّ عناد الآخرين، حتى ولو كانوا أقرباء لهم من الدّرجة الأولى، ولكن كما يقولون: العرب يتقاتلون على عقال ناقة، ثمّ يعفون، ويصفحون، ويسامحون بالتقائهم على بيت شِعرٍ.

. هناك من امتلأت أنفسهم حسداً، وغِيرة من الذين لهم في اتخاذ المواقف الوطنية، ولهذا، هم يُحسدون من البعض، لا لشيء، إلاَّ لمجرد أنّهم أصحاب مواقف أخلاقية، ومن هنا، ظلّ العناد بغير حقّ لم يفارق عقول المعاندين.

. هناك من سرق ونهب وهو مستظل تحت مظلّة آراء وتوجيهات وأوامر صادرة ممن لهم علاقة مع رأس النظام؛ فتلك المظلات في زمن المواجهة والاقتتال أجازت لهم ما لا ينبغي إجازته، بل شرّعت بما يفسح المجال لنهب أموال وممتلكات الذين انشقوا عن النظام ورأس قمّته، والذين يواجهون نظامه، ويقاتلون كتائبه في الجبهات، ولهذا سرقوا ما سرقوا، ونهبوا ما نهبوا، ثمّ خرّبوا ودمّروا، في الوقت الذي لم يكونوا فيه يعتقدوا أن تنتصر الثورات في أوطانهم، ولذا، كانت جميع أفعالهم هذه أمام مشاهدة وملاحظة النّاس الذين يكفرون بهذه الأفعال، وما يماثلها؛ فأولئك سيظلّون مغتاظين من جميع الذين كانوا شهودا عليهم. وبالتالي سَيُظهِرون حقدهم على جميع الذين بقوا على أخلاقهم وقيمهم الحميدة؛ ومن هنا، سيكيدون لهم المكائد كلّما سنحت الفرص، ومع ذلك؛ فالخوف والجبن، هما المسيطران تمام السيطرة عليهم، ممّا يجعلهم يتلوّنون بين المعارضة تارة، وبين التأييد تارة أخرى، وكأنّهم زرب نخيل مع أبسط هبّة رياح يميلون ويهتزّون،

وهكذا هم يميلون ويهتزّون ويتبدّلون مع ميل وتبدّل اتجاهات الرِّياح وكأنه في اليوم الواحد الفصول الأربعة.

وعليه، تغيّرت العلاقات بين الأفراد أقارب وأباعد، من علاقات التقدير والاحترام، إلى علاقات المزايدة المستمدّة عباراتها من ضرب الرّمل، وليس المستمدّة عباراتها من الحكمة، وحُسن الرّأي، والقيم الحميدة والفضائل الخيّرة، والذوق الرّفيع؛ فكانت الأخطاء من البعض ضدّ البعض تكاد أن تشعل نار الفتنة، وفي المقابل كان التسامح من كاظمين الغيظ للبعض مودّة.

والنّاس في معظمهم بعد انتصار الثّورات لا يريدون إلاَّ استقراراً وأمناً، وحكماً عادلاً، ممّا جعل الحقّ يندمج في مطالبهم، حتى لا يكاد لك أن تفرّق بينه وبينهم، ولكن امتلاء بعض الأنفس على البعض يحول بينهم وبين ما يجب أن يكونوا عليه قيمياً. ولذا؛ فلكلّ بعضٍ خصوصيّات منها:

. إنّ البعض قد أُمر بالقتل؛ فَقَتل من قَتَل، وهذه قضية تستوجب حُكماً قضائيّاً عادلاً.

. إن البعض قد نهب ممّن نهب وما نهب، وهذه قضية تتطلّب صلحاً أو تسامحاً، أو اعترافا وتوبة بعد تسوية قانونية مرضية.

. إنّ البعض قد هتك عِرض من هتك، وهذه قضية تستوجب قصاصا شرعيا وقانونيا.

. هناك من شتم من شتم، وسَخِر ممن سَخر، وتنابز مع من تنابز، وهذه قضية تستوجب استغفاراً وتوبة لله تعالى، ليكون الصفح، والتسامح عن إرادة من بعدها رحمة.

. هناك من كتب التقارير فيمن كتب، وبث الوشايات فيمن بثها، وهذه قضية وإن امتلأت الأنفس بها، إلاَّ أنّ الصّفح والتنازل للأخوة يمحو من الأنفس ما يمحو، حتى تعود المحبّة تحت مظلّة الأبوة والأخوة والعمومة، ومظلّة ذوي القربى رحمة بين الأقارب والأباعد.

. هناك من أفسد ما أفسد ماديّاً؛ فرُفعت بشأنه قضاياً، وهذه القضايا تتطلّب تنازلا، أو تسامحا، أو تعويضا؛ ممّا يؤدّي إلى طي ما يطوى من الهوة التي اتّسعت بين البعض والبعض.

. هناك من تظاهر وهتف وخطب وتوعّد، ولكنّه لم يَقْدِمِ على أيِّ فعل جنائي؛ فالتسامح والعفو كفيل بأن يكون هو التسوية المثلى.

. هناك من استلم أو أخذ سلاحاً، ولكنّه لم يرفعه في وجه أحد؛ فلا ذنب عليه؛ ممّا يدعوه إلى تسليم ذلك السّلاح لمؤسّسات الدّولة الأمنية المعنية برعاية هذا الأمر.

. هناك من المسؤولين من بقي منتمياً لرؤوس تلك الأنظمة حتى سقوطها، ولكنّهم لم يقدموا على أيّ فعل من أفعال النواقص المشينة؛ فلا ذنب على الوظيفة، بل الذّنب على استغلالها بغير حقّ، ولذا؛ فمن استغلّ مسؤولية كان مكلّفاً بها، أو وظيفة من الوظائف القيادية؛ فعليه أن يقبل بحكم القانون من القضاة العدل.

. هناك من اختطف من اختطف بقوّة السّلاح، أو استحوذ على ممتلكات من استحوذ؛ أو حتى استفزّ من استفزّ من المواطنين بما استفزّهم به؛ فلا بدّ له من طلب العفو، ولابدّ له من إرجاع ما استحوذ عليه، ومع ذلك قد يصل الأمر إلى المحاكم لتفصل في الأمر قضية عادلة أمام قضاء عادل.

وعليه؛ فإنّ هذه النقاط تسري على الجميع، ذلك لأنّ المظالم والمفاسد بين البعض والبعض لم تتوقف، أي: إنّها استمرّت حتى بعد سقوط الأنظمة المشار عليها، مع وافر الانعدام للقيم والأخلاق الكريمة.

ولأنِّ الثورة في أساسها ضدّ الفساد والإفساد، وضدّ الظلم؛ فالكثيرون يلتحمون ويؤيدون الثورة ومتى ما تفجّرت، ولكن، من المستغرب أن تكون المظالم في زمن الثورة، ولهذا، حتى الذين ثاروا، أو أيدوا وهم أصحاب قيم حميدة لا يمكن لهم البقاء مؤيدين لظلم بأسبابه هم ثاروا أو بأسبابه هم يثورون، أو بأسبابه هم يؤيدون أو يناصرون ثائرين على ظلمٍ، ولذلك، لا فرق بين مواطن ومواطن في ارتكاب السيئات، ومتى ما ارتكبت، وممن ارتكبت؛ فالوطن واحد ولا فرق بين مواطنيه[98].

[98] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، القاهرة، ص 114 ـ 124.

المصالحة

تلاحق خلافًا

لأنَّ النّاس مكوّن اختلافي؛ فلا استغراب في الاختلاف، بل الاستغراب أن لا يتمّ التقبّل، ولا يحدث اللقاء، المُمكّن من النقاش، والحوار، والجدل، وكذلك التفاوض بين المختلفين والمتخالفين، ثمّ إلى المصالحة والتسامح.

ولا استغراب إن قلنا إنّ مجموع النّاس، يساوي في حقيقته مجموع المختلفين، الذين بأسباب الاختلاف، يلتقون ضرورة لاستمرار الحياة الآمنة، والفاعلة، ويتقبّلون بعضهم بعضا. ولأجل استمرار العلاقات بينهم هادئة، مطمئنّة، يصوغون عقوداً اجتماعية لتنظيم علاقاتهم، وأساليب حياتهم، وسياساتهم، وأعمالهم، واقتصاداتهم.

فالنّاس لا يمكن أن يتطابقوا فيما هم فيه مختلفون، ولا فيما هم عليه يتخالفون، ولكلّ خصوصية، يختلف بها ويتميّز عن غيره، كما غيره يختلف بها ويتميّز.

النّاس لا يمكن أن يتمركزوا على التطابق، بقدر ما هم يتشتتون على التشابه، والتماثل، والاختلاف، والتباين، ممّا يستوجب الالتقاء والاتفاق، ولذا؛ فمن لا تقدّر خصوصيته الدينية، والثقافية، والوطنية، والفكرية، والعرفية، والذوقية؛ فلن يكون متوافقا، ولا متكيّفا مع من يكون سببا في غض النظر عن هذه الخصوصيات، ولكن إن أجبر على الطّاعة، سيكون رافضاً عن رغبة وإرادة، ومن بعدها سيكون متطرّفاً إلى أن يتمّ الاعتراف به وتقبّله (هو كما هو)، وإلاَّ ستظل الثورة سيدة في ميادين المواجهة، والمقاتلة، حتى يُحسم الأمر.

إنّ الاعتراف والتقبّل بالمختلف ضرورة، ومن هنا، يجب العمل على تصحيح المعلومات الخاطئة التي ترى أن يكون النّاس مركزاً واحداً، بمعلومات صائبة تؤكّد حقيقة أنّ الناس مراكز.

ومن ثمّ؛ فإنّ رفض الآخر، أو رفض آرائه، يدفعه إلى الانسحاب وإلى التخندق، والتطرّف، وإذا بلغ الأمر إلى هذا الحدِّ يشتدّ الرّفض كما يشتدَّ التطرّف، وفي هذه الحالة يصبح الأمر كمن يرمي حُزماً من الليف على النّار، والنّار مشتعلة.

ولذا؛ فالمصالحة الوطنية ينبغي أن تكون على معطيات الوجوب المرضية، ذلك لأنّ المصالحة الوطنية حلّ لا يؤسّس إلاَّ على حقائق؛ فالحلّ لا يمكن أن يكون كالإصلاح الذي لا يكون إلاَّ بقبول تقديم التنازلات، والذي إن حدث بأسباب تقديم التنازلات، لا يكون إلاَّ مؤقّتاً، ثمّ ينتهي عندما لا تكون الضرورة تجبر أصحابها على تقديم التنازلات التي بها قبلوا الرّضوخ.

ولهذا؛ فالنّاس دائما يأملون بلوغ الحلّ، وليس الإصلاح؛ فالحلّ وحده يجيب على المطالب العامّة، ويقدّر الرّغبات المتنوّعة، ويسعى إلى المزيد المُرضي من مشبعات الحاجات المتطوّرة. ولكن لا حلّ إلاَّ بعد اعتراف وتقبّل والتقاء بين المختلفين المتميّزين بخصوصياتهم، التي خُلقوا عليها، والتي تشرّبوها علما، ومعرفة، وثقافة، ومعتقداً.

ولأنّ المصالحة حلّ للخلافات؛ فهي المرضية للمختلفين والمتخالفين إن كان مَوثِقاً لا حياد عنه، ولكن إن فُصمت عرى المصالحة بعد نقض الموثق، فهذه ستضع عبء على كواهل الناقضين لعهودهم، مصداقا لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ}[99]. ولهذا، يتّعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب، الذين يطيعون أمر الله وينتهون بنهيه (وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) ، فلا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى ما يخالفه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[100].

ولأنَّ الاختلاف والخلاف هو من طبائع البشر؛ فالتقبّل بأسباب الاختلاف ضرورة، وهذا يستوجب نجاح وتحقيق المصالحة الوطنية بمراعاة:

---

[99] الرعد 20.

[100] الرعد 25.

. تقبّل المختلف أو المخالف (هو كما هو) والعمل معه (من حيث هو) ثمّ نقله إلى ما يجب.

. الاستماع إلى آراء المختلف أو المخالف بكلّ عناية وانتباه كونه مواطنا في حاجة لمن يستمع إليه.

. فهم كلّ طرفٍ من المختلفين حقيقة الطّرف الآخر.

. محاولة الكشف عن نقاط الاختلاف والاتفاق.

. طيّ الهوّة بين الطّرفين المختلفين أو المتخالفين بالكلمة الحُجّة.

. تصحيح المعلومة الخاطئة بالمعلومة الصائبة.

. كشف نقاط القوّة الكامنة والظّاهر في المختلف والمتباين والأخذ بما يفيد المتّفقين.

. كشف نقاط الضّعف في كلِّ خصوصية، كي لا تعود سيادة الضّعف ثانية بين المتّفقين.

. رسم معالم المستقبل الواجب صنعه، بعد نهاية العلل، والمسببات الكامنة، وراء تأزُّمات المختلفين.

. العمل من أجل مستقبل مشترك، ووفق سياسات، وخطط، وإستراتيجيات، تستوعب كلّ الطاقات من أجل الجميع.

. التقييم المستمر، والتقويم المصاحب له، من أجل تحقيق الأهداف المأمولة.

. الاعتراف بالماضي خيره وشره، وطي صفحاته، وفتح صفحات المستقبل دون تردّد، والعمل على ما يمكّن الجميع من إحداث النُقلة إلى المأمول المشترك، من خلال توافق وطني به تبنى الدّولة الوطنية.

إذن، بعد سيادة التفهّم، والتقبّل، والالتقاء بين المختلفين والمصالحة الوطنية، لن تجد التنازلات التي كانت تُقدم بأسباب الضرورة مكانا لتحلّ فيه، أو تركن إليه، وبذلك؛ فإنَّ أيّة تنازلات تُقدّم في الزّمن الآن، لن تكون غداً سبباً من أسباب التّقارب، بل الذين يتنازلون اليوم بغير حقٍّ، سيتخاصمون غداً بأسباب التّنازلات، أمّا أولئك الذين يلجؤون إلى الحقيقة معلومة بمعلومة، وحُجَّة بحجَّة؛ فهم أولئك الذين يشخِّصون الحالة، ويعرفون مكامن العلل التي من خلالها يتوصَّلون إلى درجة التوافق، دون

إعطاء أيّة تنازلات بغير حقّ، ومن ثمّ يتمكّنون من صناعة مستقبل مشترك.

ومع أنّ التنازلات فيها من السلبيات ما فيها، لكن، فيها من الإيجابيات ما فيها أيضاً، أي: كلّما تنازل البعض عن رفضه للآخر، كانت تنازلاته إيجابية، وفي المقابل، إن تنازل من تنازل عن حقّه، كانت تنازلاته سلبية، ولأجل أن يسود التقدير قيمة حميدة بين المختلفين المتصالحين، فعلى المختلفين المتصالحين تقديم التنازلات الإيجابية التي تؤدّي إلى تأسيس الدولة، أو بنائها، أو من أجل مستقبل مشترك يجيب على الطموحات المشتركة للشّعب.

ومن هنا، يصبح الدخول في تنازلات إيجابية مؤدِّيا إلى حلّ مرضٍ، بين الرّافض والمرفوض، أمّا تقديم التنازلات السلبية؛ فلا يُؤدّي إلى حلٍّ مرضٍ، حتَّى وإن ظنّ من ظنّ، ممّا يجعل المشكلة تظهرُ وتعود إلى ما كانت عليه؛ فبذور الفتنة المستقبلية دائماً تكمن في تقديم التّنازلات السلبية، وهذه ليس لها حلّ، إلاَّ بإحقاق الحقِّ، وفقا لمعطياته، ومبرراته، ومكانه، وزمانه، وخصوصيّاته، وإلاَّ ستعود الفتنة تشتعل بحطب نار الرّافضين من

جديد، ولذلك؛ فالحلّ العدل، أن تُفتح آفاق التقبُّل مبدأً بين المختلفين، دون طلب تقديم تنازلات مشروطة، تجعل كفَّتي الاتزان غير معتدلة.

ولأنَّ الإنسان مكوّن أخلاقي؛ فهو قيمة في ذاته الاحترام، والتفاهم، والتفهّم، والاعتبار، والاستيعاب؛ فإن سادت هذه القيم الحميدة بين المتصالحين تحت مظلة الوطن، سادت بينهم ممارسة الحقوق مع وافر التقدير للآخرين الذين يمارسون حقوقهم كما يمارسها الغير.

ولكن إن حُرم من حُرم من ممارسة حرّيته على أرض بلاده، أو على أيّ أرض كونه إنسانا على الكرة الأرضية، فلا شكّ أنّه سيتخذ مواقف مضادة لمن حرمه منها أينما كان، ولأنَّ ممارسة الحرّية حقّ للجميع؛ فالحقّ إن مُرِس عن خُلقٍ بين المختلفين أو المتخالفين، يطوي المسافات بينهم دون تقديم تنازلات مشروطة، وإذا لم تُفسح آفاق التقبُّل والاعتبار والتقدير بين المختلفين، سيظلّ البعض متربّصا بالبعض إلى أن يُحسم الأمر طوعا أو كرها.

وعندما يسود الخلاف بين النّاس؛ فلا حلّ للمختلف عليه إلاَّ بالالتقاء، وأقصر السّبل لتحقيق ذلك الجلوس على طاولة المصالحة الوطنية (نحن سويّاً) الأمر الذي يليق بالأنا والآخر (المختلفون أو المتخالفون) عندما يقبل كلّ منهما الآخر (هو كما هو).

إنَّ قبول المختلفين أو المتخالفين (هم كما هم)، يعدّ مرتكزا أساسا من مرتكزات المصالحة الوطنية المؤدّية إلى التفهّم والاستيعاب؛ ومن هنا، ينتفي التقبُّل كما يجب أن يكون عليه (هو) من وجهة نظر (الأنا)، ويصبح التقبّل الاستيعابي نظرة سائدة بين المتصالحين (هم كما هم) من أجل إحداث النُقلة إلى المأمول المشترك.

وعليه؛ فإنَّ إرساء المصالحة الوطنية بين الأنا والآخر على أساس (هما كما هما عليه) يُلغي التكميم، ويؤدّي إلى العمل من أجل ما يجب أن يكونا عليه معاً، في دائرة (نحن بنو الوطن معا وسويّا).

ولذلك، يجب أن يتمّ التقبُّل وفق هذه الحقائق دون شروط، أو طلب تنازلات؛ فالآخر الذي يُوجّه له مبدأ التقبُّل

بالاشتراطات، يرى أنَّ المشترطين عليه يضعونه في دائرة التصغير، أو التحقير مع وجوب إعطاء المزيد من التنازلات، وبذلك يشتدُّ الرّفض، وتتّسع حدّة الإكراه بين ما هو مخفيّ في الصدور، وبين ما هو ظاهر عن الأخلاق، والأقوال، والأفعال، والأعمال، والسلوكيات.

ولذا؛ فالمصالحة الوطنية تلغي التكميم، وتُقرّ الاعتراف بالآخر، وتقدّره، وتعتبره، ومن ثمّ، تفتح أمامه آفاق الحوار في شؤون الوطن على طاولة (نحن معا، وسوياً)، ممّا يجعل العودة إلى الأصول المشتركة من المعطيات التي تجمع المختلفين والمتخالفين، وتلغي التغييب، وكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى التعذيب أو التقتيل؛ فتصبح الفضائل والقيم المستمدّة من المصدر الذي يحتكم النّاس به ويحتكمون إليه، هي المرجعية المرضية للجميع عن إرادة، ولهذا؛ فالعودة إلى المصدر من أجل التمركز على معطيات الهويّة المشتركة، يلغي التكميم، والتغييب،

والتحقير، والتعذيب، ويجعل قيم التفاهم والتفهُّم والتوافق هي القيم السائدة بين النَّاس[101].

[101] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، القاهرة، 2014، ص 78. 91.

التاريخ والمصالحة

بين

اختلاف وخلاف

إنّ الاختلاف والخلاف من سُنن الحياة، والتدافع بين الناس بهما لا ينقطع، ومع ذلك في كلّ مفاجئة استغراب؛ فبأسباب الاختلاف كان الخلاف الأوّل على أشدّه بين الأخوين ابني آدم عليه الصّلاة والسّلام.؛ فقتل أحدهما الآخر خلافاً، {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ

مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[102].

ولأنّ الاختلاف يزداد تنوّعا بازدياد عدد المختلفين؛ فكذلك الخلاف يتضاعف قضية وعدداً. وكما يقولون في البدء كانت الكلمة؛ فالكلمة بداية هداية، ثمّ خلاف يأتي من بعده تذكّر وتدبّر وتفكّر؛ فمن تمكّن من هذه القيم الكريمة، تمكّن من الهداية الممكّنة من الإصلاح، والعفو، والصّفح، والتسامح، ومن لم يتمكّن من ذلك هداية؛ فسيظل على كفرٍ وضلالٍ؛ فآدم الذي كان على الهداية منبئاً ظلّ عليها إلى أن أغواه وزوجه الشيطان فخالفا نهي الله، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}[103].

ومع أنّ الكلمة في البدء هداية، لكن في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تأتي الهداية بعد ضلالٍ، كما هو حال آدم وزوجه الذي كان بداية على الهداية طائعا لأمر الله، ثمّ خالف الأمر إلى أن تاب الله عليه فاهتدى، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

---

[102] المائدة 27 . 30.

[103] البقرة 36.

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[104] أي: بعد أنّ كان آدم على الهداية منبئاً، خالف الأمر، ولكن الله تاب عليه؛ فأصبح نهاية على الهداية.

ولأنّ الاختلاف والخلاف توأم العلائق البشرية؛ فبهما الحياة البشرية مع المختلف تتنوّع، ومع المخالف تتأزّم.

ولأنّ العلاقة بين الاختلاف والخلاف وثيقة؛ فكان مولودهما الأوّل صداما بين الحقّ والباطل، اللذان بأسبابهما اصطفى الله تعالى الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، مبشرين، ومنذرين، وداعين، ومحرّضين على كلّ ما من شأنه خيرا؛ فكان أوّل الأنبياء آدم نبيّاً على المختلفين خَلقاً (الملائكة، والجنّ، والإنس)؛ ولأنَّ الإنس غير الملائكة وغير الجن؛ فكان بينهم الاختلاف والخلاف كما هو آتٍ:

أوّلاً: كان الاختلاف والخلاف بين آدم والملائكة على من يكون خليفة في الأرض، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

---

[104] البقرة **33 . 37**.

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}[105]. وهنا كان التفضيل لآدم على الملائكة الذي حمل ما لم تحمله الجبال، {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[106].

ثانيا: الاختلاف والخلاف بين آدم والجنّ، {إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}[107]. ثمّ كان الاختلاف والخلاف بين الجن، وسيظل على الكثرة مع الكثرة، {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}[108]، وقال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[109].

ثالثاً: كان الاختلاف والخلاف بين الإنس (آدم وزوجه)، وكان من بعدهما الخلاف بين ابنيهما اللذين اختلف الناس من بعدهما، وسيظلون، {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً

---

105 البقرة **30**.

106 الأحزاب **72**.

107 الكهف **50**.

108 الجن **4**.

109 الجن **11**.

فَاخْتَلَفُوا}[110]. {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[111].

ومع أنّ الاختلاف والخلاف بين الإنس والجن، إلاَّ أنّ الفاسقين من النوعين يتوافقون فسقاً، والصالحين من الإنس مع الصالحين من الجن يتوافقون صلاحاً. {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[112]، وقال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}[113].

وهكذا، كان الخلاف يتجدّد ويتكرّر مع أنبياء الله جميعهم، خلاف سببه الصراع بين أهل الحقّ وأهل الباطل، فسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلّم، الذي بُعث للهداية كفر به البعض من قومه حتى كادوا أن يقتلوه ويُحرّقوه لولا فضل الله، {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي

---

[110] يونس 9.
[111] هود 118 ، 119.
[112] الجن 5، 6.
[113] الجن 14.

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[114]. ونوح وهو الأسبق على إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، قد خالفه قومه، ومن بعده لوط وشعيب وغيرهم من الأنبياء الذين ابتلوا في شعوبهم وأقوامهم وقراهم ومدنهم، وآخرهم رسول الكافة محمّد عليه وعليهم جميعا الصّلاة والسّلام، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ}،[115]، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}[116].

وهكذا كان الخلاف من بعدهم؛ فحادثة سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع عدد من الصحابة من المهاجرين والأنصار ودارت بينهم مفاوضات انتهت في النهاية باختيار أبو بكر كأوّل خليفة للمسلمين.

تعددت الرّوايات حول ما حدث تحديداً في هذه الحادثة، واختلفت الرؤى على صحّة الاختيار أو الشورى في المفاوضات؛

[114] العنكبوت **24**.

[115] الفرقان **31**.

[116] الأنعام **112**.

فبعد وفاة نبي الإسلام محمّد اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ورشحوا سعد أبن عبادة للخلافة، ولكن حينما سمع عمر بن الخطاب بهذا الأمر، أخبر أبو بكر الصدّيق وأسرعا إلى السقيفة، وأكدا أحقية المهاجرين في الخلافة كما يعتقدا.

دار جدال بين أبي بكر وعمر من جهة، والأنصار من جهة أخرى؛ فاقترح الأنصار أن يكون من المهاجرين أمير ومن الأنصار أمير، فاختلف معهم عمر بن الخطاب في هذا الأمر ورشّح أبو بكر للخلافة. وانتهى الأمر باختيار أبي بكر خليفة للمسلمين وفقاً لترشيح عمر ابن الخطاب.

ومع أنّ الاختلاف بين النّاس من نِعم الله التي بها تتنوّع أساليب الحياة وتُكسَر أطواق المَلل، ولكن في المقابل الخلاف بين بني الإنسان نُقمة، به تُقطع علاقات المحبّة والمودة، كما قُطعت العلاقات بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ونبيّ واحد، كما هو الحال بين طائفة أهل الشيعة وطائفة أهل السنّة؛ فطائفة الشيعة كانت ترى أنَّ آل بيته أولى النّاس بالخلافة، وأولى آل بيته عمّه العبّاس وابن عمه علي، وعلي أولى من العبّاس لأنّه

أسبق إلى الإسلام، كما أنّ له نسلا من ظهر الرّسول، ثمّ إنّ العبّاس نفسه لم ينازِع عليّاً في أولويّته للخلافة.

وهكذا في كلّ مرحلة من مراحل الدّولة الإسلامية، الخلافات تتجدّد؛ والخلفاء يُقتلون؛ فقُتل عمر، ومن بعده قُتل عثمان، ثمّ قُتل علي. وقد ظهر بأسباب الخلاف المرتدّون، والخوارِج الذين خرجوا على الإمام علي ابن أبى طالب عندما قبل التحكيم في موقعة صفّين، ذلك لأنّ الخوارِج رأوا أنّ علياً قد أخطأ بقبوله التحكيم؛ فقالوا جملتهم الشهيرة (لا حكم إلاَّ لله)[117].

ومن بين أهم معركة اختلافية موقعة الجمل التي وقعت في البصرة عام36 هـ بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام، بالإضافة إلى أم المؤمنين عائشة التي قيل أنّها ذهبت مع جيش المدينة في هودج على ظهر جمل، وسميت

---

[117] علي الصلابي، سيرة أمير المؤمنين أبي سفيان، دار الجوزي، القاهرة، **2007**، ص **95**.

المعركة بالجمل نسبة إلى الجمل الذي عليه هودج أمّنا عائشة رضي الله عنها.

بعد حدوث الفتنة ومقتل الخليفة عثمان بن عفان عام 35هـ، بايع كبار الصحابة الإمام علي بن أبي طالب لخلافة المسلمين، وانتقل إلى الكوفة، ونقل عاصمة الخلافة الإسلامية إلى هناك، وبعدها انتظر بعض الصحابة أن يقتصّ الإمام من قتلة عثمان، لكنّه لم يأخذ بهذا الأمر.

ومن هنا، كان الخلاف بين علي ومعاوية حتى بلوغ حالة الاقتتال بين صحابة رسول الله؛ فكانت معركة صفّين في محرّم سنة 37هـ، حيث أراد علي أن يعزل معاوية من على الشام؛ فخرج إليه بجيشه، ودار الاقتتال عند صفّين، وعندما شعر جيش معاوية بأنّه على مقربة من الهزيمة، رفعوا المصاحف على رؤوس الرِّماح، وطلبوا التحكيم مع علي وجيشه (أهل العراق)؛ فرفعوا

شعاراً بقولهم: (كتاب الله بيننا وبينكم) إنّه شعار أهل الشّام تحت رئاسة معاوية[118].

ومع أنّ الطرفين قد اتفقا على وقف الاقتتال والقبول بالتحكيم، لكن الرّفض كان على أشدّه من قبل طائفة من جيش علي بن أبي طالب. ومع ذلك، تمّ الاتفاق وخُتم بختم علي بن أبي طالب على أعلى صحيفة التحكيم، وخُتم بختم معاوية بن أبي سفيان على أسفل الصحيفة.

ومع أنّه الاتفاق المختوم، لكن الرّافضين من أهل العراق ظلوا على رفضهم، بل زادوا على رفضهم الخروج عن طاعة علي، ورفعوا صوتهم بقولهم (لا حكم إلاَّ لله) وطلبوا من علي نقض العهد، ولكنّه رفض.

كان موسى الأشعري مفاوضاً وممثلاً لعلي وجيشه، وكان عمرو ابن العاصّ مفاوضاً وممثلاً لمعاوية وجيشه؛ فقام الأشعري بخطبته قائلاً: "أيّها النّاس إنّا نظرنا في أمرنا؛ فرأينا أقرب ما

---

[118] علي الصلابي، علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الجوزي، القاهرة، ص 477.

يحضرنا من الأمن والصّلاح، ولم الشعث، وحقن الدّماء، وجمع الألفة خلعنا عليّاً ومعاوية، وقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه" وخلع عمامته.[119]

وقام عمرو وقال: (أيّها النّاس إنّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وإني خلعت عليّاً وأثبّت معاوية عليّ وعليكم).

فقال الأشعري: كذب عمرو، ولم نستخلف معاوية، ولكنّا خلعنا معاوية وعليا! فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع علياًّ، ولم أخلع معاوية.

ووفقاً لصحيفة التحكيم عاد علي ومن معه من جيشه إلى الكوفة، وتحرّك معاوية وجيشه إلى الشّام.

ولأنّ الخلاف يشتدُّ مع شدّة الصدام؛ فكان على أشدّه بين علي بن أبي طالب والذين انشقوا وخرجوا عنه، وكان أكثر شدّة عندما اجتمع الخوارج عنه في النهراوان سنة 38هـ، فقاتلهم

[119] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج 3، ص 7.

علي، وقتل منهم من قتل، ثم اختلفوا وتخالفوا؛ فانشقوا بعد ذلك إلى 20 فرقة.

قُتل علي بن أبي طالب على أيدي الخوارج في 16 رمضان 40هـ، وهو يصلي الفجر في المسجد[120].

ولأنّ الخلاف يفرّق ولا يجمع، كان الخلاف حتى بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ورسولٍ واحد، ولا يفرّقون بين أحد من رُسله؛ فكان المرتدّون بأسباب حداثة الإسلام وضعف الإيمان، والاختلاف على من يأتي من بعد الرّسول؛ فكان الخوارج، وكان الاقتتال بين هذا وذاك قتالا بلا شفقة. كلّ ذلك كان بأسباب عدم قبول الاختلاف (عدم قبول الرأي الآخر) إنّه الاقتتال من أجل السّلطة، وليس الاقتتال من أجل الهداية ونشر الإسلام والعدالة وإحقاق الحقّ.

ولأنّه الخلاف المؤدّي إلى الاقتتال؛ كان الخلاف بين أهل الدّين الواحد لا يختلف عن الخلاف مع من هم على دين آخر.

---

[120] علي محمد الصلابي، فتنة مقتل عثمان، دار الجوزي، القاهرة، ص 53.

فالاختلاف والخلاف عبر الزّمن متلازمان مترافقان في أيّ مكان وفي كلّ المعمورة؛ ففي الدّولة الفاطمية كان الاختلاف والخلاف منذ البدء مع مؤسّسها عبيد الله المهدي (909 – 934م) وذلك بعد قضائه على دولة الأغالبة، واتخاذه مدينة المهدية بتونس عاصمة له، التي من بعدها زحف الفاطميون وحلفاؤهم إلى المشرق وأسّسوا القاهرة مع رابع خلفاء العبيديين المعز لدين الله الفاطمي، وبأسباب الخلاف لم يتبقَّ منهم في الجزائر والمغرب وتونس إلاَّ القليل.

توسعت الدّولة الفاطمية على حساب الخلافة العباسية واستولى الفاطميون على شرق الجزائر، ثمّ تونس، ثمّ ليبيا، ثمّ صقلية التي بقيت في حكمهم حتى 1061م[121].

ولأنّه الخلاف على السّلطة والحكم، دخل الفاطميون في صراع مع العباسيين للسيطرة على الشّام. كما أنّهم تنازعوا السيطرة على شمال إفريقية مع أمويي الأندلس. وكذلك تمكّنوا

---

[121] علي الصلابي، فتنة مقتل عثمان، مرجع سابق، ج 3، ص 27.

من السيطرة على الحجاز والحرمين ما بين سنوات 965-1070م. ولكن صلاح الدين الأيوبي انقلب على الدّولة الشيعية، وتولى الوزارة منذ 1169 م، وأعاد الخلافة العباسية سنة 1171 م[122].

قامت الدّولة العباسية التي انتشر الخلاف والنزاع فيها؛ فتكوّنت فرق دينية متعدّدة عارضت الحكم العبّاسي. وكان محور الخلاف بين هذه الفرق وبين الحكّام العبّاسيين هو (الخلافة) أو إمامة المسلمين. وكان لكلّ جماعة منهم خصوصياتها السياسية في إقامة الحكم الذي تريد. وجعلت هذه الفرق النّاس على خلافات بين طوائف وأحزاب، وأصبحت المجتمعات العباسيّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدّولة حتى تصدّعت وحدتها، ومن العوامل الداخلية التي شجّعت على انتشار الحركات الانفصالية، اتساع رقعة الدّولة العبّاسية، وبعد المسافة بين أجزاء الدّولة وصعوبة

---

[122] علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، دار الجوزي، القاهرة، ص 138.

المواصلات في ذلك الزّمن، هذه جعلت الولاة في المدن النائية يتجاوزون سلطاتهم، ويستقلّون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية، والتي لن تصل إلاَّ بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدّولة العباسية، حركة الأدارسة وحركة الأغالبة، والحركة الفاطمية.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة 1258م على يدّ هولاكو خان التتري الذي قتل من قتل إلى جانب قتله الخليفة وأبنائه؛ فانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العبّاس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة 1261م.

استمرت الخلافة العباسية حتى سنة 1519م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشّام ومصر، وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان (سليم

الأول)؛ فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية[123].

هكذا هي نتائج الخلاف بداية استيلاء على السّلطة، ثمّ صراعات وفتن بين الفرق والطوائف التي حياتها لهو، وفساد، وكيد، ومكر، إلى أن تأتي النّهاية بسقوط غير مأسوف عليه.

ولأنّه الخلاف؛ فلا يقتصر على شعب أو دين أو أمّة أو حضارة، بل يمتدّ بين النّاس كلّما توافرت معطيات ظهوره؛ فالخلاف كما يجري بين المسلمين؛ فهو الخلاف يجري بين المسيحيين الذين تقسّموا بأسبابه إلى كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت.

فبأسباب الخلاف في القرن الخامس الميلادي، حدث انشقاق كبير نتج عنه أن أصبحت بعض كنائس الشّرق تحت قيادة كنيسة الإسكندرية، وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما، وسميت الأولى بالكنائس الأرثوذكسية، والثانية بالكنائس الكاثوليكية إلى أن جاء الخلاف في القرن الحادي عشر الذي

[123] المرجع السابق.

بأسبابه انفصلت كنائس القسطنطينية واليونانية وبعض الكنائس الأخرى عن الكنيسة اللاتينية، وسميت أيضا بالكنائس الأرثوذكسية.

فبأسباب الخلاف، يؤمن الكاثوليك والبروتستانت أنّ الأب أعظم من الابن والرّوح، والأرثوذكس يؤمنون بأنّهم متساوون.

فبالنسبة لروح القدس: يؤمن الكاثوليك والبروتستانت أنّه منبثق من الأب والابن معاً، والأرثوذكس يؤمنون أنّ الرّوح منبثق من الآب فقط.

أمّا بالنسبة للابن: يؤمن الكاثوليك والبروتستانت بأنّه مكوّن من طبيعتين ومشيئتين، ويؤمن الأرثوذكس أنّه طبيعة ومشيئة واحدة.

وبالنسبة لمريم عليها السلام، يؤمن الكاثوليك أنّها أمّ المسيح، وزوجة الرّوح القدس بالفعل، وأنّها الآن في السماء، فوق المسيح ابنها، ويؤمن الأرثوذكس أنّها أم الإله وأنّها الآن في السّماء عن يمين المسيح، ويؤمن البروتستانت أنّها إنسانة عادية مسيحية؛ وهكذا هو الاختلاف والخلاف يتلونان ويتنوّعان

ويمتدّان مع الحياة امتدادا بلا انقطاع، ممّا يجعل المصالحة حلّا لمشكلة المختلف والمخالف[124].

ومع أنّ جمال الحياة تتنوّع، إلاَّ أنَّ الخلاف على رأس المفسدات لهذا التنوّع، ولا سبيل من بعده للنّاس إلاَّ التفاهم، والتفهّم، والاستيعاب، والمصالحة الوطنية الممكّنة من التكيّف والتوافق والوحدة، ومن لم يقبل بذلك، سيجد نفسه في مواجهة النّاس.

ومن ثمّ؛ فعلى بني آدم أن يميّزوا بين ما يجب ويتّبعوه إرادة، وبين ما لا يجب، ويجتنبوه، وينتهون عنه، وبعد التبيّن لا ينبغي أن يكره أحد على شيءٍ هو لا يرغبه، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[125]،{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[126]، {فَمَنْ

---

[124] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، مرجع سابق، ص 136.

[125] البقرة 256.

[126] يونس 99.

شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[127]، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[128].

هذه الآيات الكريمات مأمور الأخذ بها أمرا من عند الله تعالى، وذلك بأسباب الاختلاف والخلاف الإنساني؛ فلا داعي للإكراه والإجبار والإقصاء والسيطرة بغير حقّ. بل الذي يجب اتباعه هو قبول الآخر المختلف، واستيعاب المخالف، وتفهّم ظروفه، والعمل معه من حيث هو، من أجل أهداف وآمال مشتركة تستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، حتى يتمكّن الجميع من بلوغِ المأمول الأجود مع وافر التوافق والتقدير.

ولأنّ الاختلاف مقدّر من عند خالق المختلفين مصداقا لقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) فلا طاعة لأحدٍ يريد أن يسيطر على أحدٍ حتى وإن كان ولي أمر، (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ).

---

[127] الكهف 29.

[128] الغاشية 21، 22.

إذن، الطّاعة المطلقة لله تعالى، ولكن الطّاعة في دائرة الممكن هي للأمر؛ فالذين يقولون طاعة أولي الأمر واجبة، نقول لهم: نعم، ولكن في مرضاة الله تعالى، أي: لا طاعة لهم في غير ذلك؛ فإن كان الحاكم ظالماً؛ فهل الله تعالى يؤيد ظالماً، أو يناصره ليكون عبيد الله المؤمنين مؤيدين له ومناصرين؟

وإذا كان الحاكم مفسداً في الأرض؛ فهل يكون هذا الحاكم في مرضاة الله تعالى؟

وإذا كان الحال بين النّاس هو مجموعة من المفاسد، وعلى رأس المفاسد ولي الأمر؛ فهل يا ترى ستكون طاعة ولي الأمر واجبة ومرضية لله تعالى؟

طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية ما أمر الله به، ولكن إنْ أصبح ولي الأمر على مجموعة من المفاسد؛ فلا طاعة له فيما يرتكبه من مفاسد، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[129]. بدون شكّ طاعة الله جلَّ جلاله طاعة عبادة وتسليم مطلق، وطاعة الرّسول عليه

[129] النساء 59.

الصّلاة والسّلام من طاعة الله تعالى لاتباع ما جاء به كتاباً منزّلاً من عند الله.

أمَّا طاعة أولي الأمر منكم؛ فهي طاعة للأمر الذي هو منكم، أي: عندما يقرّر الشّعب قراراً (سواء في حالة السّلم أم حالة الحرب) أو أنْ يصدر الشّعب دستوراً؛ فلا ينبغي لأولي الأمر مخالفته، وكذلك لا ينبغي لمواطنٍ قرّره مخالفته، ذلك كونه قرارا جمعيا، وليس بقرارٍ فردي، ولا حتى جماعي، قرار شعب بأسره، أو أمّة بكاملها؛ فلا طاعة لولي أمر في غير ما ولّي عليه من أمر من (المواطنين)، ولهذا؛ فإنَّ إجماع النَّاس شعب أو أمّة بحالها يعدُّ حُجّة.

ولأنَّ المقصود من طاعة أُولي الأمر هو طاعة للأمر الذي هو منكم (من الجميع) أي: من الذين يتعلّق الأمر بهم، سواء أكان الأمر سلماً أم حرباً أم سياسة داخلية أم سياسة خارجيّة؟، أو أيِّ أمر يتعلّق بالنَّاس وشؤونهم العامّة. إنّه قال تعالى: (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ولم يقل: (وأولي أمركم) فالأولى تعود على من يتولّى أمركم إرادة مع وضوح الأمر المكلّف به ولايةً منكم، أمَّا الثانية:

فتخصّ ولي أمركم (الوالدين أو من يتولّى رعايتكم خاصّة وأنتم قصّر)، ومع ذلك حتى الوالدين لا طاعة لهما في معصية الله عزّ وجلّ مصداقاً لقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}[130].

إذن، طاعة أُولي الأمر في مرضاة الله لا يمكن أن تكون فيما يرتكبه أُولي الأمر من مفاسد ومعاصي، بل الطّاعة فقط في مرضاة الله حيث لا مفاسد، فإن كانت المفاسد سائدة في سياسة أُولي الأمر منكم؛ فلا طاعة لهم في معصية وإفساد في الأرض، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}[131].

ولأنَّ من بين الإفساد في الأرض قتل النّفس التي حرّم الله؛ فولي الأمر إن قتل نفسا بغير حقّ فقد أفسد، ولأنَّ بعضا من أُولي الأمر يعلم أنَّ من قتل نفسا بغير نفس؛ فلا كفّارة له ليكفّرَ بها عن ذنبه؛ فهو إن قتل نفسا فكأنّما قتل النّاس جميعاً، ولهذا،

---

[130] العنكبوت 8.

[131] البقرة 11، 12.

لن يتوقّف عن قتل المزيد من الأنفس بما أنّه قد قتل نفسا من قبل، بل سيكون أكثر تمادياً في سفك الدّماء[132]، قال تعالى: {أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[133]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[134].

ومع أنّ قتل النّفس بغير حقّ محرّم ومجرّم دينا وعرفاً وخُلقاً، لكن الذين لا علاقة لهم بهذه ولا بتلك؛ فلا يتردّدون ظلماً في سبيل سيطرة وتولي الأمر بغير حقّ، واحتلال وطن بغير حقّ، وهتك عِرض بغير حق، ونهب مال بغير حقّ؛ فالنّاس يختلفون، والسياسات تختلف وأصحابها يتخالفون؛ فيسقط من يسقط

---

132 عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ص 220 ـ 223.

133 المائدة 32.

134 آل عمران 21.

بالقوّة، ويتولى من يتولى بالقوّة، وكذلك تحتل دولة بالقوّة كما أنّها بالقوّة تتحرّر.

وعليه؛ فطاعة ولي الأمر واجبة بما أنّه لم يخالف الأمر، ولكن إن حاد عن الأمر؛ فلا طاعة له، بل يجب إعادته إلى الأمر المستوجب الطّاعة، كما هو حال إمام الصّلاة عند المسلمين الذي يصطفّ المصلون وراءه يركعون ويسجدون لله طاعة؛ فإن خلّ أو أخطأ في غفلة عن قراءة القرآن المُصلّى به، وجب على المصلّين أن يصحّحوا له ما أخطأ فيه قراءة، وإن أخطأ في سجدة أو ركعة فلا يطاع، بل ينبّه لما أخطأ فيه حتى يعود إلى الأمر، وفي حالة لم يعدّ؛ فلا يتبعه المصلون فيما ذهب إليه خطأ، بل عليهم تنبيهه حتى العودة إلى صحة الأمر وسلامة أدائه أمراً هو كما هو، ومن هنا، يتضح الفارق بين طاعة الأمر وبين طاعة أولي الأمر، ولذلك؛ فلا طاعة لولي أمر خرج عن الأمر الذي كلّف به من قِبل النّاس، ولكن إن كان ولي الأمر قد استلب الأمر استلابا؛ بانقلابٍ أو ثورة فردية أو جماعية، أو بأيّة حيلة من تحايله وأساليبه الملتوية؛ فلا وجوب لطاعته، بل مقاومته واجبة من أجل إعادة المسلوب والمستولى عليه.

إنّ الخلاف مع من يخالف الشرع حقّ شرعي، ومع من يخالف الدستور، حقّ دستوري، ومع من يخالف العرف حقّ عرفي، ومع من يخالف القيم الحميدة، حقّ قيمي. وفي المقابل يجب احترام وتقدير المختلفين ديناً وعرفاً حيث لا إكراه في ممارسة الحرّية المرسّخة لكرامة الإنسان.

ولذا؛ فبعد التأزُّمات والشدائد إن لم يكن بعد الخلاف تفهّم وتوافق وعفو وتسامح ومصالحة، ستكون بدايات الاقتتال وإشعال نيران الفتن، والحروب الأهلية، واحتلال البلدان، وقتل الأنفس بغير حقّ ستكون معروفة، ولكن نهاياتها ستكون غير معروفة العواقب؛ هكذا بأسباب الاختلاف والخلاف قُتل الملايين في معارك وحروب طاحنة ولا زال كما يقولون الحبل على الجرارة[135]

---

[135] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، القاهرة ، **2014**، ص **91** ــ **104**.

الإصلاح

من سُنن الأنبياء والمصلحين

الإصلاح أنواع ويتشكلّ بمقصد أصحابه؛ فإمَّا أن يكون إصلاحا حقيقيا فتتلاشى التناقضات وتصحّح الأوضاع وتستقيم الأمور، أو أن يكون إصلاحاً مزعوما هدفه تجميل الصورة أمام النّاس؛ فتوضع الرتوش واللّمسات الزخرفية ببعض الإجراءات والتغييرات السطحية، وهذا لا يمنح أيِّ تغيير ممّا يكسب الصورة الماضية بقاء أكثر؛ فيمنحها استمرارية جديدة لم يكن لها أن تستمر، والصلاح ينشد التغيير الذي يغير الأمور من جذورها ويرميها إلى الوراء ولا يعود إليها مهما كان وتحت أيِّ ظرف من الظروف.

ولأنَّ الإصلاح قيمة حميدة، تستمدّ منه صفة الصلاح؛ فكان إسحاق نبياً من الصالحين، قال تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ

الصَّالِحِينَ}[136]. والصلاح هو منتهى الصفات الحميدة التي لا يشوب صاحبها فساد رأي أو اعتقاد، لذلك مدح الله تعالى أنبياءه وعباده بهذه الصفة، وقد جاء في تعريفها اللغوي أن: "الصلاح ضدّ الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه"[137].

فالإصلاح قيمة يحمل صاحبها ممّا يحمله:

. الحرص.

. بُعد النظر.

. الأخلاق الكريمة.

. الحكمة.

. الاتعاظ وأخذ العبر.

. الأخذ بكلِّ ما يؤدّي إلى بناء وإعمار.

ولذا، فقد خصَّ الله تعالى أنبياءه وعباده المقرّبين بهذا الوصف فقال في حقّ عيسى عليه الصّلاة والسّلام: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى

---

136 – الصافات 112

137 – لسان العرب، ج 2، ص 516.

ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}[138].

تحتوي هذه الآيات الكريمة على أنَّ عيسى عليه الصّلاة والسّلام هو:

. كلمة من الله تعالى.

. وَجِيهًا فِي الدنيا والآخرة.

. من المقرّبين عند الله تعالى.

. مكلِّم للنّاس في المهد وكهلاً.

. من الصّالحين.

فلكلّ واحدة من هذه الصّفات من العظمة والشرف بمكان، ومع ذلك فقد ختم الكلام بما وصفه به بأن جعله من الصّالحين وعليه:

فإنَّه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحاً؛ لأنَّه لا يكون كذلك إلاَّ ويكون في جميع الأفعال من الأوامر والنواهي مواظباً على:

. القول الحقّ.

---

[138]– آل عمران 45–46

. الفعل الحقّ.

. العمل الحقّ.

. السلوك القدوة.

وهذا النهج هو الممكّن من صلاح الدّين والدّنيا، لأنَّه يتناول جميع أفعال الجوارح والقلوب، ومن الملاحظ في كثير من الآيات التي تتكلّم عن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، تذكر بعض التفاصيل عن صفاتهم، ثمَّ يردف ذلك بالصّلاح الذي يدلّ على أرفع الدرجات.

وأمّا قوله تعالى في يونس عليه الصّلاة والسّلام: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[139]. فهذا لا يعني أنَّه لم يكن صالحاً، فكيف لا يكون كذلك وهو النبي المصطفى، ولكن هذا يدل على:

. إنَّ الصّلاح يكتسب.

---

[139] – القلم 50 .

. الصّلاح درجة عالية لا ينالها إلاَّ صادق القول والفعل والعمل.

ومن ثمّ؛ فالصّلاح يجعل من المتصفين به على الدّرجة العالية، والمكانة الرّفيعة، وهذه الدّرجة الرّفيعة هي مطلب الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، فقد طلبها سليمان بقوله تعالى: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[140].

لقد أخبر الله تعالى أنَّ إسحاق عليه الصّلاة والسّلام من الصّالحين الذين يؤدّون العمل الصالح، ومع أنَّ درجات الأنبياء أعظم من درجات الصالحين، ومع ذلك قال يوسف عليه الصّلاة والسّلام : {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[141].

ومع العلم أنّ يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم الصّلاة والسّلام همّ آباء يوسف وهم أنبياء، فهو لم يقل: ألحقني بآبائي الأنبياء، وإنّما طلب اللحاق بالصّالحين التي هي من صفة آبائه

140 - النمل 19 .

141 - يوسف 101 .

الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وعلى هذا يكون قد طلب الصلاح التّام وهو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصية وعلى هذا يكون طلبه:

. أن يجعله صالحاً أبداً.

. أن يلحقه بالصّالحين من آبائه.

فالصّالحون الذين استوت سريرتهم وعلانيتهم في الخير، وصلحت أحوالهم عند الله تعالى؛ فرضي عنهم، وهذه الصّفة هي غاية المدح ويدلّ عليها النقل والعقل، أمّا النقل: فهو أنّ الله تعالى مدح بهذا الوصف الأنبياء والمرسلين عليهم الصّلاة والسّلام؛ فقال بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل: {وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ}[142] .

وقال مبشراً إبراهيم: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}[143].

---

[142] – الأنبياء **86** .

[143] – الصافات **112** .

وذكر حكاية عن سليمان عليه الصّلاة والسّلام في قوله تعالى: {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[144].

وأمّا العقل:

. يعلم أنَّ الصلاح ضدّ الفساد.

. وكلّ ما لا ينبغي أن يكون في مرضاة الله تعالى هو فساد.

سواء أكان ذلك:

. في العقائد.

. أم في الأعمال.

. أم في الأخلاق.

فإذا كان كلّ ما يحصل من باب ما يجب أن يكون؛ فقد حصل الإصلاح والصلاح الذي يدلُّ على أرفع الدرجات .

فالصّالح هو الذي يكون صالحاً في اعتقاده، وفي عمله، وسلوكه، وتصرّفاته، وكلّ ما يصدر عنه، أو ما يكنّه في قلبه ونيّته.

والإصلاح قيمة أخلاقية مشاعة يتّصف الإنسان بها اختياراً بتوفيق الله تعالى، وذلك أنَّ الإنسان يستطيع أن يكون صالحاً

---

[144] – النمل 19 .

بإرادته، ولا يستطيع أن يكون نبيّاً لأنَّ النبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى.

والصلاح درجات لدى الإنسان لا من حيث المكانة، وإنّما من حيث الخصوص أو الشمول وذلك أن يكون الإنسان:

. صالحاً في نفسه لنفسه.

. صالحاً لنفسه ولأهله.

. صالحاً لنفسه وأهله والآخرين.

وهناك أسباب أخرى ممّا خصّ الله تعالى بها أنبياءه ورسله فوصفهم بأحسن الوصف، ومدحهم بأجلّ الصّفات، بأنّهم من الصّالحين؛ فقد جرت سُنّة الله في وصف أنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام بأجلّ الصّفات بعد النبوّة فكان أنبياؤه من الصّالحين:

حيث جعلهم ورثة الأرض مصداقا لقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[145].

---

145 – الأنبياء **105**.

فإبراهيم أبو الأنبياء من الصّالحين الكرام، {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[146].

ولقد بشّر الله زكريا بنبي من الصّالحين قال تعالى: {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}[147].

وهكذا كان عيسى عليه الصّلاة والسّلام، {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}[148].

وعليه؛ فإنّ جميع أنبيائه هم من الصّالحين، {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كلّ مِنَ الصَّالِحِينَ}[149]، وقوله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ

---

[146] – البقرة 13.

[147] – آل عمران 39 .

[148] – آل عمران 45–46.

[149] – الأنعام 85 .

بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}[150]، وهكذا، اجتبى الله تعالى يونس من الصّالحين، {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[151].

ونقف على بعض ما في الإصلاح والصّلاح من قيم حميدة رفيعة الشأن من خلال قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[152].

فقد ذكرت الآية بعض صفات الصالحين التي تمثّل عماد الإيمان والعلاقة بين الإنسان وخالقه، والإنسان والمخلوقين في:

. الإيمان بالله تعالى.

. الإيمان باليوم الآخر.

. الأمر بالمعروف.

. النهي عن المنكر.

---

150 – الصافات 112.

151 – القلم 50 .

152 – آل عمران 113– 114 .

. الإسراع في الخيرات.

فمن حمل هذه الصفات؛ فقد انتمى إلى من وصفهم الله تعالى بأنّهم من الصّالحين.

ولسائلٍ أن يسأل:

من هو الصّالح؟

نقول:

الصّالح من يعمل صالحاً في مرضاة الله تعالى، وهو القادر على أعمال وأفعال الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. وبهذا كان جميع الأنبياء الكرام همّ صالحون من عند الله تعالى؛ فهم الصّالحون للرّسالات التي بُعثوا بها رُسُلاً عظاماً، وهم الصّالحون للنبأ العظيم الذي أنبئوا به من الله عزّ وجلّ، والصّالحون همّ رفيعو الدّرجات، كما هو حال أيوب صلى الله عليه وسلّم الذي كما اتّصف بالصبر وُصِفَ بأنَّه من الصالحين الذين همّ في مرضاة الله عزّ وجلّ من أنبياء ورُسُل عظام، قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كلّ مِنَ الصَّالِحِينَ}[153].

ولأنَّ أيوب من الصّالحين؛ فكان على الهداية والطّاعة لا يرجو رحمة إلاَّ من الرّحمن الرّحيم الذي شفاه من كلّ ألم وداء؛ فأصبح على القوّة من المعافين المكرَّمين.

ولأنَّ أيّوب من الصّالحين؛ فكانت له الاستجابة بما نوى أن يدعو الله دعاء الصّالحين الأبرار، {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[154].

وعليه؛ فالصلاح لا يكون إلاَّ للمخلصين، ولا يكون إلاَّ منهم في دائرة النسبية والممكن.

ولكن كيف تُعمل الصّالحات؟

---

[153] الأنعام 83 ـ 85.

[154] الأنبياء 83، 84.

عمل الصّالحات ليس بالأمر السهل؛ فالصّالحات تتطلّب تقوى سابقة عليها، ومعرفة وإتقان ونصح دون كلل ولا ملل، مع رجاء في استجابة بثواب يحقّق الغايات المرجوة.

وقد يكون المترتّب على العمل فعل إصلاح، وقد يكون المترتّب عليه فعل إفساد في الأرض، وسفك دماء فيها بغير حقّ. قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[155]؛ فالعمل الصّالح من صفات الخليفة في الأرض، ولأنَّ داود كان خليفة في الأرض؛ فكان عاملاً للخيرات ومُكثراً منها، ولهذا، اتّصف داود صلى الله عليه وسلَّم بعمل الصالحات، وعامل الصالحات هو المُصلح في الأرض بالقول الطيب الذي يفكّ الأزمات، ويطمئن القلوب بالإيمان الذي يدعو إليه بالتي هي أحسن، وهو العامل بكلّ ما في وسعه أن يعمله من أجلّ إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، وهو

---

[155] سبأ 10، 11.

الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير والعفو والتسامح والصفح والتصالح.

ولأنَّ الصالحات هي التي تبقى لأصحابها يوم القيامة ضمانا لدخول الجنّة، فمن أصلح بين الناس وأكثر من عمل الصالحات ضمن الجنّة، ومن لم يعمل في حياته صالحاً يخسر الدارين، ولن يكون من الوارثين من حيث:

أ. أنَّه لم يترك أثراً طيباً لمن بعده في الحياة الدنيا.

ب. بأعماله غير الصّالحات في الحياة الدنيا يضيِّع فرصة دخوله الجنَّة في الدار الآخرة.

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}[156]. وجاء الوعد بالاستخلاف مقصوراً على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا يدلُّ على أنَّ

---

[156] النور، 55.

الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات غير معنيين بالأمر، وفي هذا استثناء من الخلافة، حيث استثنى الله غير المؤمنين من الخلافة بقوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ). وهذا يدل على أمور ثلاثة:

الأول: استثناء غير المؤمنين من الاستخلاف.

ثانيا: تعميم الاستخلاف للمؤمنين منهم.

ثالثا: تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم، وهنا يتّضح التميّز بين من آمن ولم يعمل عملاً صالحاً، وبين من آمن وعمل عملاً صالحاً.

ولهذا، سيُبدّل الله تعالى خوف المؤمنين من الأعداء أمنا، وبما أنَّ هذا الأمر وعدٌ من الذي وعده الحقّ، وهو لا يخلف وعده، إذن؛ فليُرمى الخوف في غيابات الجب بالعمل الصّالح حتّى نكون من المستخلفين في الأرض.

ومن الآية السابقة يتّضح أمر الخليفة بأنّه ليس الإنسان المطلق، بل الإنسان المؤمن الذي يعمل صالحاً، وهذا لا ينفي الوجود والعيش على الأرض للكلّ دون استثناء، بل يعني أن مستقبل الأرض سيكون بين أيدٍ آمنة، وليس بين أيدٍ عابثة، ولهذا

لا إكراه في الدين، بل في الدين الحُجَّة التي تحمل في مضامينها الحقيقة التي تتطلّب مؤمنين بها حتّى يتمكّنوا من تسويقها بقواعد الوجوب الحقّ دون إكراه للآخرين. ولذا؛ فإنَّ أمر الإصلاح يتعلّق بصناعة المستقبل، وهذا المستقبل لن يتحقّق إلاَّ بما يتركه الإنسان من أثر طيب في القول والفعل والسلوك والعمل، ليسهم في عمليات الإصلاح المتعدّدة والمتنوّعة.

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[157]. ولذلك كان الاستخلاف لغاية، وكان لله الفضل على من يلتزم بأسباب استخلافه، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}[158] ولهذا؛ فمن شروط الاستخلاف الإصلاح، ولكن أيّ إصلاح؟

أقول:

---

[157] . البقرة 11.

[158] . النور 55.

إنَّه العمل الصّالح بشكله المطلق، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[159] ولذلك؛ فالعمل غير الصّالح هو دليل عدم القبول بأمر الإصلاح في الأرض. ولو لم يجعل الله تعالى أمر العمل بإرادة، لكان الجميع مستخلفين فيها بالقوّة، وفي مقابل ذلك لو يؤاخذ الله تعالى الإنسان بما يفعل السفهاء ما ترك على ظهرها من دابة {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجلّ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}[160].

وعليه: فالإصلاح قيمة لا يتَّبعها إلاَّ مهتدٍ بالحقّ إلى الحقّ، والصَّالح هو الذي لا يقصر أمر الصلاح على نفسه، بل يتعدّى به إلى الآخر، لأجلّ أن يصلح حاله، ويعمل على تغييره إلى كلّ ما من شأنَّه أن يؤدّي إلى المحبَّة وإلى ما هو أفضل وأجود وأنفع في غير معصية لله، ومن ثمّ؛ فمن لا يتّبع الصالحين المصلحين قد يسفِّه نفسه ويكون في الآخرة من النادمين.

---

[159] فصلت 46.

[160] فاطر 45.

والصالحون في الآخرة، همّ العاملون عليها في الدنيا، قال تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[161].

فقوله تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) فهو يُخبِر عن مكانة نبي الله تعالى في الدارين في هذه الآية الكريمة، الذي جاء في جملتين مؤكدتين بأدوات التوكيد.

الأولى: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا) مؤكدة باللام وقد.

والثانية: (وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) مؤكدة بأداتي توكيد، إنَّ، واللام.

وذلك لأنَّ الإخبار عن اصطفاء الله له في الدنيا أمر غير معلوم لمن عاصروه من البشر، وكذلك كونه في الآخرة من الصّالحين، فهو أمر مغيب عنهم يحتاج فيه إلى إخبار من الله تعالى، فأخبر الله به مُؤَكداً بأداة التوكيد.

---

[161] البقرة **130**.

ويمكننا القول: بأنَّ الاصطفاء جاء من أجل الإصلاح أمرا مرتبطا بالحياة الدنيا، فالله تعالى اصطفى الكثير من عباده للقيام بالعديد من المهام منها:

. مهمة التبشير بثواب الله والإنذار من عقابه والتبليغ بأوامره تعالى بالنبوة والرّسالة من أجلّ هداية الناس إلى الطريق الحقّ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ليكون الإصلاح قيمة حميدة ومفضّلة بين النّاس، ولهذا، اصطفاء الأنبياء والرُسُل عليهم الصلاة والسلام، مصلحين مبشّرين ومنذرين، قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}[162]، وهذه مكامن العمل الصالح الممكّن من الإصلاح.

. مهمة حفظ كتاب الله (القرآن الكريم) حتّى يتحقّق حفظ الله تعالى له مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[163].

---

[162] الأنعام 48.

[163] الحجر 9.

. مهمة الإصلاح والدعوة للمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ همّ الْمُفْلِحُونَ}[164].

أما الحياة الباقية؛ فإنَّه ارتبط بها العمل الصالح الذي به ينال العامل مكانته في الجنَّة {إلاَّ مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأنَّه يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}[165].

وعليه؛ فالصّالحون في الآخرة همّ المصلحون في الدنيا، قال تعالى: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) تأكيد على اصطفاء الله تعالى لإبراهيم صلى الله عليه وسلّم، أي:

---

[164] آل عمران **104**.

[165] الفرقان **70. 75**.

جعله الله صالحاً وصافياً من الأدناس، وكلّ ما يتنافى مع كونه مصطفى من فعل أو قول، أو عمل أو سلوك، فجاء قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[166].

هذا عن اصطفاء الله تعالى لإبراهيم صلى الله عليه وسلَّم في الدنيا، واستمرّ الإخبار من ربِّ العزّة عن مكانة خليله وصفيه إبراهيم صلى الله عليه وسلَّم في الآخرة بقوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأنَّه فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[167]

من الصالحين الذين أخبر الله تعالى أنّه:

. يتولّاهم.

قال تعالى: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِين}[168].

. يدخلهم الله تعالى في رحمته.

---

[166] العنكبوت 27.

[167] النحل 122.

[168] الأعراف 196.

قال تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا أنَّه مِنَ الصَّالِحِينَ}[169].

وقال تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ}[170].

إذن القاعدة تنصُّ على:

(إنَّ الصّالحين من العباد يتولّاهم الله تعالى ويدخلهم في رحمته).

وإن تساءل متسائلٍ:

ما الصّفات التي تدخل العباد في الصّالحين؟

وبالإجابة عن هذا التساؤل نجد:

إنَّ منها صفات مجملة في قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}[171].

---

169 الأنبياء **75**.

170 الأنبياء **86**.

171 آل عمران **113_ 115**.

وعليه؛ فالصّالحون همّ الذين:

1 . يؤمنون بالله تعالى: {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[172].

2 . يؤمنون برُسُل الله تعالى ويصدِّقونهم ولا يفرِّقون بينهم مصداقاً لقوله تعالى: {آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كلّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[173].

3 . يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا همّ يَحْزَنُونَ}[174].

---

[172] آل عمران **114**.

[173] البقرة **285**.

[174] البقرة **62**.

4 . يتعبَّدون لربّهم بالقيام، والتلاوة والصلاة، {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا ممّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ}[175].

5 . يأمرون بالمعروف ويعملونه، {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[176].

6 . ينهون عن المنكر ويجتنبونه، {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[177].

7 . يسارعون في الخيرات، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[178].

---

[175] إبراهيم **31**.

[176] التوبة **71**.

[177] آل عمران **114**.

8 . لا يفسدون في الأرض، {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ همّ الْخَاسِرُونَ}[179].

9 . يعمرون الأرض وفيها يصلحون، {إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[180].

10 . لا يسفكون الدّماء بغير حقّ، {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحقّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}[181].

إذن، الصلاح ما ليس بفساد وهو لا يكون إلاَّ على الهداية والطاعة التّامة لله ربُّ العالمين.

---

[178] المؤمنون 60، 61.

[179] البقرة 27.

[180] النور 5.

[181] الأنعام 151.

والصّالح هو الصّالح في ذاته من ذات الله تعالى؛ فهو الذي خُلق في أحسن تقويم، وكان على قيمة الإصلاح في الأرض ليعمل صالحاً يرضاه الخالق جلّ جلاله، ولذا؛ فالصالح هو: من يَصلح للحياتين ويرث فيهما خيراً كثيراً، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[182].

وفي اللغة، الصالح: "من بني آدم: هو المؤدّي حقوق الله عليه"[183].

وقال الزجاج: "الصالح الذي يؤدّي لله ما افترض عليه، وإلى النّاس حقوقهم"[184].

ولأنَّ كلّ الأنبياء من الصالحين (كلّ مِنَ الصَّالِحِينَ) فنحن لا نميِّزَ بين أحدٍ من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا، إنهم الأنبياء والرُسُل

---

[182] البقرة **25**.

[183] تفسير الطبري، ج **3**، ص **91**.

[184] تفسير القرطبي، ج **4**، ص **79**.

الصابرون الطائعون الصالحون الذين أدخلهم الله في واسع رحمته مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كلّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}[185].

وعليه، فالصالح غير المُصلح، فالصالح من صلحت أحواله خَلقاً فكان على الصلاح صفة تامّة وعلى الأخلاق قدوة حسنة، والمُصلِح هو من يُسهم في إصلاح المفاسد أو الآخرين، وهو الذي يأمل أن يكون على الصلاح ليكون صالحاً في ذاته ويبلغ درجة الصالحين الذين منهم جميع الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلم، ومع ذلك فالصَّالح هو من لا يؤمن إلاَّ بما هو خير وفي مرضاة الله، وهو الذي لا يؤمن أن يكون على غير ذلك قولاً وعملاً، ولهذا، يتوجَّه بالعمل الصالح للآخرين ليُسهِمَ في إصلاح أحوالهم لأنَّه في ذاته مصلحاً، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ

185 الأنبياء 85 ـ 88.

الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[186]، وعندما يكون أهل الأرض يصلحون أحوالهم ولا يفسدون فيها، ولا يسفكون الدماء بغير حقّ، فهم يتّصفون بصفة الإصلاح؛ فيتحلّون بقيمته يعمّرون ويشيدون ويبنون ويفلحون، وهمّ متّقون لربّهم في كلّ كبيرة وصغيرة يقدمون عليها أو يبتعدون عنها.

إذن، الصالح هو: من توفّرت فيه معطيات الصّلاح ليكون نافعاً ومفيداً لِما يقدِمَ عليه من عمل، وهو من يُصلح أحوال المفسدين وفسادهم في الأرض دون كلل ولا ملل، ولذا، لا مُصلح بالمطلق إلاّ الله تعالى، أمّا المستخلفون فيها؛ فهم المصلحون بالإضافة، قال تعالى: {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ أنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[187].

---

[186] هود 117.

[187] الأحزاب 71، 72.

ولأنّ الإصلاح صفة طيبة؛ فكان نبي الله صالح على هذه القيمة، أي: لقد انطبق اسم صالح مع صفة الإصلاح؛ فهو صالح في اسمه وهو صالح في صفاته وهو صالح في أفعاله؛ فهو غير منقوص من حيث كونه صالحاً، ولهذا بُعث صالح ليصلح أحوال قومه ليكونوا مصلحين في الأرض كما يشاء الله أن يكون بنو آدم مستخلفين فيها بالإصلاح والإعمار، ولهذا، جاء صالح مصلحاً وصالحاً وناصحاً ومرشداً لقومه، قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}[188].

وعليه: فالمصلح من كان قوله صالحاً، وفعله صالحاً، وعمله صالحاً، وسلوكه صالحاً، ويأمر بالصلح والإصلاح، وينهى عن الفساد والمفاسد.

---

[188] الشعراء **144** - **152**.

والمصلح هو: من يصُرَّ على إصلاح ما يفسده المفسدون الفاسدون في أخلاقهم وإيمانهم وأعمالهم وأفعالهم، قال تعالى: {قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحقّ اللَّهُ الحقّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}[189]، وقال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[190].

ولأنَّ من مشيئة الله في خلقه أن جعل منهم الصّالحين والمصلحين؛ فكان شعيب في طبعه مُصلحاً، مصداقاً لقوله تعالى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيتمّ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ}[191]؛ فقول شعيب: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) يدلُّ على حُسن إرادته الطائعة لأعمال الخيرات الحسان التي بها

---

[189] يونس **81**، **82**.

[190] الأحزاب **70**، **71**.

[191] هود **87**، **88**.

يتمّ الإصلاح في الأرض وإعمارها وفلاحها، ولذا فقوله: (مَا اسْتَطَعْتُ)، تدلُّ على إصراره على الإقدام على أفعال الإصلاح في الأرض من خلال الفضائل التي بعثه الله بها رسولاً كريماً، ومن خلال القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة والعمل في الأرض بين الناس ومعهم حتّى لا يسود الفساد فيها، ولذلك فشعيب صلى الله عليه وسلَّم، مُصلح في الأرض طاعة لأمر الله الذي جعله مصلحاً فيها.

وفي معنى إصلاح شعيب قال الرّازي: "ما أريد إلاَّ أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي، وقوله: {مَا استطعت} فيه وجوه:

الأول: أنَّه ظرف والتقدير: مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكِّناً منه لا آلو فيه جهداً.

الثاني: أنَّه بدل من الإصلاح، أي: المقدار الذي استطعت منه.

الثالث: أن يكون مفعولاً له، أي: ما أريد إلاَّ أن أصلح ما استطعت إصلاحه[192].

---

[192] تفسير الرازي، ج 8، ص 458.

ولأنّ الإصلاح خير قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ؟ قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ"[193]. قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[194] أي: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله[195].

.ولأنَّ الإصلاح قيمة حميدة؛ فالصالح هو المناسب لأداء الأفعال الحسان، فإذا قال صَدق فيما قال، وإذا عاهد أوفى، وإذا عمل أحسن عمله، ولذلك كان الرّجل الصّالح صالحاً لأداء الأعمال والأفعال والمواثيق والعهود مع فائق الالتزام التام بالهداية والطاعة لله ربُّ العالمين، قال تعالى: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ

---

[193] تفسير البغوي، إحياء التراث ، ج **1**، ص **701**.

[194] الحجرات **10**.

[195] تفسير الطبري = جامع البيان، ج **22**، ص **297**.

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}[196]؛ فقوله: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) في الوفاء بما عهدت لك يا موسى، أي: في حُسن الصحبة والالتزام بما قلته لك في هذا اليوم ستجده بالتمام إن شاء الله يوم أن تتمّ الثمانية حُجج، وهذا وعد لا يتمّه إلاَّ صالح، ولهذا، قال شعيب لموسى: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).

وعليه: فالإصلاح قيمة مرغوبة من الصالحين الراغبين في كسب وراثة الدارين، ومثل هذه الرغبة هي التي جعلت الأنبياء والمرسلين عليهم الصّلاة والسّلام برسالاتهم يرشدون لكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح؛ فينهون عن كلّ منكرٍ ويأمرون بكلّ معروفٍ ويسارعون في عمل الخيرات وهمّ لها مكثرون، ولذا؛ فمن أراد أن يكون كذلك ليس له بدٌّ إلاَّ الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً.

ومع أنَّ الإصلاح عمل خير ثماره تعود على فاعله، لكن أكثرهم لا يفقهون وأكثرهم مفسدون ومنافقون ومجرمون وضالون

---

[196] القصص 27.

وكاذبون؛ فمنهم من يعجبك قوله ولكنّه من ألدّ الخصام مصداقاً لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[197].

ولأنَّ الله تعالى لا يُحب الفساد في الأرض، سادت قيمة الإصلاح بين المصلحين، وفيها ابتغاء مرضات الله جلّ جلاله، ولذلك؛ فمن يتولّى أمر النّاس وهو مفسد لن يكون رحيماً بهم، ولا بالبلاد قراراً وتنفيذاً وسياسة واقتصاداً، ولذلك فتوريث الحكم للمفسدين فيها مفسدة، أمَّا المصلحون؛ فلا يورِّثون.

المصلحون وحدهم المتيقِّنون بأنَّ الأمر بين النّاس يجب أن يكون شورى حيث لا إكراه في الدّين، أي: بما أنَّ الدين العظيم

---

[197] البقرة **204 . 207**.

لا إكراه فيه؛ فكيف يتمّ القبول بالإكراه في ممارسة السلطة وحكم البلاد والعباد فيها كرهاً!

قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[198]. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[199].

ومن ثمّ؛ فالإصلاح قيمة حميدة بين الناس يعيد العلاقات بينهم بعد انقطاع أو قطيعة، وبه تُصلح الأرض بعد إفسادٍ فيها، وبه يُصلح البناء ويُعمّر بعد خرابٍ أو فساد، ذلك لأنَّ الإصلاح قيمة بنائية تُمكّن من بلوغ مستهدفات وغايات مشتركة بين الأنا والآخر، وتُمكّن من إعادة المفقود وتنقله من الوهن إلى القوّة.

ومن هنا؛ فالإصلاح صفة المصلحين في الأرض الذين يتّقون الله؛ فينتهون بنهيه، ويتجنّبون ما أمر تجنّبه، ويحرّمون ما حرّمه،

---

[198] الحجرات 9.

[199] الحجرات 10.

ويقدمون على أداء ما أمر بأدائه، ويتّعظون بمواعظه، ويقتدون بأنبيائه أسوة حسنة، ويتذكّرون ما قصَّ عليهم من قصص؛ فيتدبّرون أمورهم، ولا يغفلون عمّا في أنفسهم من علّة ليغيّروها إلى ما هو أحسن وأفيد، ثمّ يستهدفون الآخرين بالتغيير، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}[200].

وعليه؛ فإنَّ الصلاح استقامة وسلامة من العيوب وزوال العداوة والخصومة والشقاق، وبذلك؛ فالصّالح هو: من يكون مهتدياً في حياته ومماته ويوم بعثه؛ فيكون لمن بعده أسوة لمن يريد اتّعاظاً. وبذلك يكون العمل الصّالح في مرضاة الله تعالى، والعمل غير الصّالح هو العمل الفاسد الذي يجعل مرتكبيه في دائرة غضب الله. قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا

---

[200] الرعد **11**.

مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[201].

[201] **البقرة 25**.

الفصلُ الثالث

التســـامـــح

التسامح

التّسامح قيمة أخلاقية لا يرتقي إليه إلاَّ واعٍ بما يجب وما لا يجب، ولا يقدم عليه إلاَّ مدركٍ لحكمة وعبرة، ومتعظ بما يجنّبه ويجنّب الآخرين فتنة.

والتسامح، النّاس دائما في حاجة إليه، ذلك لأنّهم جميعا معرّضون للخطأ، ولا أحد يستغني عنه، إنّه المشبع للحاجة الأمنية التي بها تطمئن الأنفس، وهو الواقي من التأزمات الناتجة عن الصدامات والنزاعات والخصومات بين النّاس.

فالشّعوب والأمم دائماً على حالة من التدافع، ولأنّها كذلك؛ فنقاط التّماس والاحتكاك والاختلاف والخلاف بينها باستمرار بين اتصال وانفصال، ممّا يدفع البعض تجاه البعض وهو متجاوزٍ لحدود امتداده؛ فتواجهه مقاومة من أجل الكرامة أو الشّرف أو الدّين أو الوطن، أو بأسباب الحاجة؛ فيُقتل من يُقتل، أو يفقد حاجته من يفقد؛ فتتأزّم الأحوال، ويشتد الألم الذي إن لم يبلغ النّاس قيمة التقدير والاحترام والاستيعاب والاعتراف بالآخرين

تكون الخسائر التي لها بداية معروفة ونهاية مجهولة بألم مجهول.

فالتّسامح قيمة حميدة بين النّاس مترتّب على اقتراف خطيئة أو سوء تفاهم أو ارتكاب مظالم؛ فيأتي التّسامح في مظاهر المغفرة بين الأنا والآخر أقارب أم أباعد، به يُغفر الذنب وتتآلف القلوب بعد فراق أو قطيعة أو جفاء، إنّه اللين بعد التأزّم والألم والشدّة، ومن بعده تطمئن الأنفس والقلوب وتأمن.

التّسامح قيمة حميدة من سُنن الحياة التي تملؤها السُنن (سالبة وموجبة)؛ فالنّاس دائماً في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وسلوكهم هم بين ظالم ومظلوم، ومتّهم وبريء إلى أن يُحقّ الحقّ.

التّسامح تساهل بعد شدَّة ألمّت بمن ألمّت به من النّاس، وفيه يسود القبول وغضّ النّظر والتجاوز عمّا يؤثّر سلبياً على العلاقات بين العباد؛ فيصبح المترتّب عليه فعل مُمكّن من تحقيق الأهداف والأغراض والغايات المشتركة.

وعليه؛ فالتّسامح قيمة مُفضَّلة اجتماعياً وإنسانياً يميل البعض إليه محبّةً في استيعاب الآخرين من أجل الحياد بهم عمّا يجب الحياد عنه، والدّفع بهم إلى ما يجب أن يُهتدى إليه ويُتّبع.

وقيمة التسامح تحمل مفاهيم تدلّ على التنازل الإرادي بمقابل أو بدون مقابل، ولذلك، فقيمة التّسامح تؤدّي إلى إصلاح ذات البين بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ولكلّ جزاؤه، {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[202].

ولأنَّ التّسامح قيمة حميدة؛ فهو سُنّة بين الناس أقرّتها الأديان والأعراف الاجتماعية عبر التاريخ، وسنّها الأنبياء قبل غيرهم، وقدّرها من قدّرها من بعدهم من العباد؛ فكان التسامح قيمة مفضّلة منذ البدء حيث الصراع بين ابني آدم عليه الصّلاة والسّلام حين قال أحدهم للآخر كما جاء في قوله تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي

---

[202] الشورى **40**.

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[203]، وكذلك يوسف عليه الصلاة والسلام كان مثالا للتّسامح مع إخوته، {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[204]. فقوله (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) أي: لا غضب ولا كره ولا حزن ولا ألم عليكم اليوم بعد أن اعترفتم بأنّكم كنتم مخطئين، ولذلك؛ فأنتم مسامحون (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) ولأنَّ التّسامح كان في مرضاة الله تعالى وبإرادة تامّة من يوسف دعا يوسف ربُّه لإخوته الذين اخطؤوا في حقِّه بالمغفرة والرحمة (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

والتسامح دليل المحبّة والمقدرة على استيعاب الآخر هو كما هو، لأجل نقله إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولذا؛ فالتسامح قيمة مقدّرة بين العباد لا يؤسّس إلاَّ على مغفرة، أو بأسباب التوبة، والمتسامح هو من يدرك العاقبة الحميدة المترتبة على تسامحه، ولم يكن التسامح قيمة موجبة لو لم يكن الخطأ قيمة

---

[203] المائدة 28.

[204] يوسف 91، 92.

سالبة؛ فبالتسامح تُغتفر الأخطاء ويتمّ تجاوزها بما يقوي العلاقات ويرسِّخ المحبّة بين الناس الذين يراد لهم أن يكونوا خلفاء في الأرض، ويراد لهم أن يكونوا الوارثين. هذا الأمر ينطبق بالتمام على موسى صلى الله عليه وسلَّم مصداقا لقوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[205].

وتفادياً للمجهول بأسباب وعلل معلومة، يصبح التّسامح خير منقذ لمن تربطهم علاقات اجتماعية ووطنية وإنسانية، لتستمر العلاقات بينهم مملوءة بروابط المودة، بدلا من امتلائها بالقسوة، والحقد، والكيد، والمكر، والاقتتال، أو التنابذ بالألقاب، كما هو الحال في ليبيا التي فيها الشّعب الليبي أصبح منقسماً بأكثر من علّة؛ ممّا جعل البعض ينابذ البعض بصفات وألقاب لا ترضي الله تعالى.

---

205 – الأعراف 150، 151.

ألقاب

تستوجب التسامح

ومن هذه الألقاب التي كسّرت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة وملأت أنفس الليبيين غضبا هي:

1 ـ الجرذان:

هي اسم حيواني خاصّ بالفئران الكثيرة، أي: في علم اللغة عندما تكثر الفئران تسمّى جرذان، ولكن هذا المسمّى إذا أطلق على الإنسان أصبح لقب تنابذي من أجل السخرية بمن يراد لهم أن يكونوا أقل شأناً من الساخر منهم؛ ومن هنا، يدخل في الصّفات التي نهى الله عنها عباده المؤمنين؛ فهي الصّفة المقللة من شأن من خلقهم الله تعالى في أحسن تقويم، ولذا؛ فمن يتّقي الله ربّاً لا يقبل أن يطلقها لقباً على العباد المؤمنين.

وإن حلّلنا مضمون هذه العبارة، نعرف أنّها إذا قيلت من بشرٍ إلى بشرٍ؛ فهي تدلُّ على شعور قائلها بالضّعف والوهن، وفي المقابل تثبت أنّ الطّرف الذي قيلت له، أو قيلت في حقّه بأنّه قد حُقّر بما يخالف الأخلاق الكريمة والقيم الحميدة والفضائل الخيّرة، ولذلك، يصبح قائلها في حاجة للتسامح مع من قيلت في حقّه، وإلاَّ غضب الله سيكون على كاهل قائلها إلى يوم أن يقوم الحساب.

ولأنَّ الجرذان لقب سخرية وتنابز؛ فلا يليق أن يطلق على من جعلهم الله مستخلفين في الأرض، ولهذا، نهى الله المؤمنين أن يسخروا أو يتنابزوا بالألقاب مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[206].

[206] الحجرات 11.

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: لا يُقبل من مؤمنٍ ولو عن غفلة أن يسخر من مؤمنٍ آخر، فإن سخر ولم يتب سيكون بدون شكّ من الظالمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ولذا، جاء التنبيه في الآية السابقة بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: وما يدريك أيّها السّاخر والمتنابذ مع الآخرين أنّ الآخرين لم يكونوا على حقّ؛ فهذا الأمر إن لم تعرفه، أو تعلمه؛ فاعلم أنّ الله يعلمه، ولأنّه يعلمه نهى عنه.

ولأنّ القرآن مكمن الحلّ لأيّ معضلة علائقية بين المؤمنين، قال الله جلّ جلاله في كتابه الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، في هذه الآية الكريمة جاء النّهي قطعيا مُطلقا ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، إذن؛ فكلّ من سخر من أخيه سخر الله منه، وحتى لا تضيع الفرص، جاء التسامح قيمة منقذة لمن وقع في مخالفة لما نهى الله عته.

ولأنّ في الاتعاظ عِبرة؛ فلِمَ لا نتعظ؟ ولأنّ في الاتعاظ عبرة، جاء الأمر والنهي للجميع (القوم من الرّجال، والنساء من

النسوة)، ولأنّه كذلك، نزل قوله تعالى موجّها إلى جميع المؤمنين على السواء، ثمّ جاء التأكيد بالخصوص على القوم من الرّجال، والنساء من النسوة، مصداقاً لقوله تعالى: (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ). أي: لا فرق بين أن يسخر رجل من رجل، أو امرأة من امرأة، أو أن يسخر قوم من الرّجال من قوم آخر، أو مجموعة نساء من نساء أخريات، ولذا، جاء النّهي عاما وقطعيا ومطلقا.

ولأنّ إطلاق صفة الجرذان لا تليق أن تُطلق على بني الإنسان؛ فهي تندرج تحت ما نهى الله عنه، وهو الملامزة مصداقاً لقوله تعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[207].

فقوله تعالى: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)، أي: أيّها المؤمنون من لمز منكم مؤمنا فقد لمزكم جميعاً، ولهذا، نهى الله عن الملامزة بين المؤمنين، ولذلك جاء الإنذار من الله تعالى للمؤمنين الذين

---

[207] الحجرات 11.

لمز بعضهم بعضا بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: إنّ الذنب قد ارتكب، كما أنّه قد سُجّل، ولكن التوبة كفيلة بإخراج صاحبها من المظلمة، وفي المقابل من لم يتب كان عند الله ظالماً، وحتى لا يخطّ الإنسان بيده أنّه ظالما؛ فعليه بالتّسامح الذي يمكّنه من نيل المغفرة من الله تعالى.

ولأنَّ الّلمز مَعيبة أخلاقية، نهى الله المؤمنين عنه، واللمز يمكن أن يكون قولاً عندما يُبث غيبة ونميمة، أو أن ينشر في وسائل المعلومات المتطوّرة والإنترنت، ويمكن أن يكون إشارة دالة على سوء الخلق الظاهر، ممّا يزيد العلاقات المتأزّمة تأزُّماً، وكذلك؛ فاللمز عيب، به يعيب البعض في البعض؛ فاللمز طعن من مؤمنٍ في مؤمنٍ، وهذه معيبة أخلاقية وذنب عظيم نهى الله عنه.

إذن، لمز الأنفس لمز عام، وذلك لأنّ النفس الإنسانية واحدة، والمؤمنون على الخصوص هم نفس إنسانية واحدة، ولهذا، إلحاق الّلمز ولصقه بنفس مؤمنٍ واحدٍ يلحق النفس المؤمنة، ممّا يجعل على ظهر اللامز ثقل الذّنب العام، وبالتالي

ليس له بدّ إلاَّ أن يتسامح ويستغفر ويتوب إلى ربّه، وإلاَّ سيكون من الظالمين.

وهنا، نلاحظ علاقة مباشرة وقويّة بين لمز الأنفس، وقتل النفس؛ فاللمز بين المؤمنين يعمّ الأنفس، ولو كان لمزاً لنفس واحدة (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)، وهكذا قتل النفس يعم جميع الأنفس، قال تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}[208]. وإن كان القتل بغير حقّ قد لحق بنفس واحدة، ولكن الفرق بينهما هو أنّ اللمز تمحوه التوبة النصوح، أمّا القتل بغير حقّ فذنبه لا يمحى.

وعليه:

على المؤمن إن أراد أن لا تلحقه الذنوب، وأن لا يكون من الظالمين، أن لا يلمز أخيه المؤمن؛ وذلك لأنّ اللمز عيب يشين مرتكبه، ولا يشين من أطلق عليه صفة بغير حقّ؛ فالذين أُطلق عليهم ما أطق من لمزٍ، هم في حقيقتهم لا زالوا هم كما هم عليه بأسمائهم وصفاتهم الأخلاقية التي أمر الله بأن يدعو بها، أمّا

---

[208] المائدة **32**.

الذي أطلق ما أطلقه من لمزٍ على الغير؛ فلا يعود ذنب اللمز إلاَّ عليه، ومن هنا، وجب التسامح والاستغفار.

التنابذ بالألقاب هو مبادلة اللقب السيء باللّقب السيء أو اللقب الأسوأ منه، وهذا التنابذ يؤدّي إلى الفتنة، صداماً، ونزاعاً، وصراعاً بين الأخوة الذين نهاهم الله عن التنابذ بالألقاب التي تشين خُلق المؤمن.

فالتنابز بالألقاب هو: أن يطلق المؤمن مسمى أو كنية أو لقبا انحطاطيا على أخيه المؤمن، وهذا يعني خروج عمّا أمر الله به ونهى عنه، وبذلك فذنبه يأتي من كونه خروجا عمّا نهى الله عنه، ومن يَقدم على ذلك يجد نفسه في مواجهة أمر الله، وليس مع الذي أُطلق عليه لقبٌ تنابزي لا يليق أن يُطلق عليه أبداً.

ومن يظن أنّ ما أطلقه من لقبٍ على غيره سيلحق غيره مباشرة دون سواه؛ فهو جاهل أو غافل، وذلك لأنّ الله تعالى سميع قريب مجيب، ولأنّ حقيقة الأمر هي كذلك؛ فالمواجهة ستكون مع أمر الله الذي لا يكون إلاَّ مع المظلوم في مواجهة الظالم إلاَّ من تاب بعد تسامح مُرضي.

فالإنسان المؤمن بطبعه يَكره أن تلحقه الألقاب غير الإنسانية (غير الأخلاقية)؛ فإن ألحقها به من ألحقها، تمتلئ نفسه منها ألماً شديداً، حتى وإن كظم مَن كظم غيظه، ولذا؛ فعلى الجميع تجنّب التنابذ بالألقاب، وتجنّب كاظمين الغيظ منها، فهم الذين بشأنهم قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}[209].

وعليه فالتنابذ بالألقاب يوقد نيران الفتن بين المؤمنين، وهذا ما لا يُرضي الله، ولأنّه لا يُرضي الله؛ فهو يُغضبه، ومن يكون سبباً في غضب الله عليه خسر خسراناً كبيراً.

إنّ التنابذ بالألقاب هو تنابذ بما هو مكروه عند المؤمنين، وهو إدخال القُبح في الكلام، وهو اللقب السوء الذي يحلّ بالكراهية بين الأخوة بدلاً من المحبّة التي كانت سائدة بينهم، ممّا يؤدّي إلى امتلاء الأنفس ضد الأنفس؛ فتنتشر العداوات بين الأخوة الذين نهاهم الله عن معادات بعضهم لبعض، مصداقاً

---

[209] آل عمران 134.

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ولأنّ التنابذ بالألقاب معيبة بهدف تقليل الشأن؛ فهو منهي عنه من عند الله بنصٍّ صريحٍ، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

وعليه؛ فالتنابذ بالألقاب بعد الإيمان يعد فسقا، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾؛ فالفسق كما ورد في المصباح المنير: "أَصْلُهُ خُرُوجُ الشَّيْءِ مِنْ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ الْفَسَادِ"210، ولأنّه خروج على وجه الفساد؛ فالله تعالى نهى عن الفساد، بقوله تعالى: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ، وفي المقابل دعا إلى الصّلح وأمر بالإصلاح، بقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا

---

[210] المصباح المنير.

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ، **وقال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**[211].

ولأنّ المؤمنين أخوة؛ فلا ينبغي أن يحلّ الاستهزاء بينهم، ولكن إن دخل الاستهزاء بينهم ستكون النتيجة: إنّ المستهزئ بهم هم خير من الهازئين، وهكذا سيكون حال النساء الهازئات؛ فإن هزأت نساء مؤمنات من نساء مؤمنات؛ فعسى أن يكون المستهزئ منهنّ خيراً من الهازئات، ولهذا لا يحقّ لمؤمن أن يسخر، أو يلمز، أو يتنابذ مع مؤمن بأسباب اتجاهه السياسي، أو الفكري، أو بأسباب فقره، أو لاختلاف ذوقه ومزاجه واختياراته.

قال الشاعر:

لاَ تَكْشِفَنَّ مَسَاوِي النَّاسَ مَا سَتَرُوا

فَيَهْتِكُ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَا

---

[211] **النساء 114.**

وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا

وَلاَ تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

وعليه:

فمن أخذ بما أمر الله به، وانتهى عن التجسّس والغيبة، وعن كلّ ما نهى الله عنه، وتجنّب الظن الإثم، وتسامح ثمّ استغفر لذنبه، واتقى الله وتاب إليه فقد فاز، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[212].

---

[212] **الحجرات 12، 13.**

2 ـ الطّحالب:

الطّحالب جمع طحلب، وعندما يطلق لقب طحالب على البشر يعتبر لقب تنابذي كونه خروجا عن المنهي عنه، ومن هنا، لا يليق بالمؤمن أن ينابذ به مؤمناً؛ فإن نابذه فقد ظلم، ولذا، وجب عليه طلب التسامح وتقديم المعذرة والاستغفار، ومن ثمّ التوبة.

ولمتسائل أن يتساءل:

ما هي النتائج التي حصلت بين الليبيين بأسباب السخرية والتنابذ بالألقاب التي نهى الله عنها؟

أقول:

امتلاء الأنفس ضدّ الأنفس؛ فكلّ السخريات السابقة وما صاحبها من تنابذ بالألقاب، وما صاحبها من شتائم وسِباب، دفعت البعض إلى ارتكاب المزيد من المكائد، والمزيد من المكر؛ ممّا جعل الهوة تزداد اتساعاً بين المتنابذين بالألقاب والساخرين من بعضهم بعضاً.

ومع أنّه لا شدّة ولا ألم أكثر من شدّة المواجهة والمقاتلة وجها لوجه، إلاَّ أنّ زمن شدّتها وألمها أقصر من شدّة وألم ما

تتركه المنابذات من مآسٍ، وأوجاع، وأحزان وأحقاد بين من نهاهم الله عن التنابذ بها ولم ينتهوا.

فالرّصاصة المنطلقة أثناء المواجهة والمُقاتَلة يمكن أن تصيب من تصيب، ويمكن أن لا تصيب أحدا، وإن أصابت أحدا وعمره لم ينته؛ فلن تقتله وإن جُرح ما جُرح من بدن الجريح، ولكن الكلمة النابية، والألقاب التنابذية، والسخرية من الغير، وتقليل شأنهم وتحقيرهم، والاستهزاء منهم نارها أكثر شدّة؛ فهي الكلمات التي نارها لا تُطفأ، وإن هدأت عند أحدٍ جاء من جاء وأوقدها على شدّة. إنّها النّار التي لا تُطفأ إلاّ بالعفو والمصالحة، والتسامح، والاستغفار والصفح والتوبة من الذنب.

في زمن الفتن تكسر منظومة القيم الضابطة للأخلاق، والمنظّمة للعلاقات الاجتماعية والإنسانية؛ فيسود من بعدها كتابة التقارير من البعض ضدّ البعض، حيث تقارير المجنّدين والمجنّدات، ووشايات المتقرّبين زلفى تؤخذ على علّتها؛ فيسجن من يُسجن، ويعدم من يعدم، وتصادر ممتلكات وأموال من

تصادر ممتلكاتهم وأموالهم، وتهدم منازل المظلومين بلا رأفة وبدون أحكام قانونية وشرعية.

ومن هذه الأعمال أنفس تتألّم، وفي المقابل أنفس تسخر منها، فتمتلئ الأنفس على الأنفس غيظا؛ فتُخزّن المعلومات المؤلمة إلى أن يأتي الوقت الذي يسمح باستدعائها من الذاكرة، وكيف لا يشتدّ الألم والمظلومون لا يحقّ لهم حتى أن يرفعوا قضايا فيمن ظلمهم أمام المحاكم؟ ومن ثمّ، ألا يكون هذا الظلم بأمّ عينه وفي أبشع صوره على رأس ما يملأ الأنفس ألماً وحقداً؟ ثمّ، ألا يكون هذا الألم محفّزا ودافعا إلى التسامح الذي يُمكّن الجميع من إعادة اللحمة الاجتماعية والوطنية؟

ولأنّ كثيرا من نتائج الصدام والخصام والاقتتال تنتهي إلى نتيجة مفادها منتصر في مقابل منهزم؛ فلا شكّ أنّ هتافات وزغاريد المنتصرين توقع ألماً شديداً في قلوب المنهزمين، ممّا يدعو إلى ظهور شرارات الغضب، وما يصاحبها من حقدٍ دفين في أنفس المنهزمين، حتى تكاد عيون أصحابها أن تقدح الشرارة التي توقد النّار.

وفي المقابل عيون المنتصرين الذين سبق لهم وأن عانوا ما عانوه هي الأخرى تكاد أن تتقادح، من الغضب الذي تولّد من

تلك المعاناة التي عانوها سنين المظالم، ولذا؛ فالأنفس الليبية ممتلئة، ولا مفرّ لها من التخلّص من الألم إلاَّ العفو والمصالحة والصفح والتسامح.

وفي مثل هذا الشأن قال عالم علم النفس الأمريكي: كائنات ممتلئة بالشّر والغرور وحبّ الذات، وانتقادها يسبب انفجاراً في مخزن البارود، ولكن العجب كلّ العجب أن يسخر شخص من آخر، ثم يأتي هذ الآخر المسخور منه يصف لك ما حدث له، وهو في ذلك مسترسل ومنطلق على سجيته، لا يمنعه حياء، ولا تردعه حشمة، ولك أن تحكم على صاحب هذه الروح، وتصفها بالسخافة أو الخفة أو... احكم بما شئت، ولكن قبل إصدار الحكم لا بدّ من معرفة المدعي والمتهم حتى لا نجور ولا نظلم[213].

وعليه، يجب أن تحدث المراجعة من الجميع، وأن تُقيّم المواقف، وتقوّم الأخطاء، وإلاَّ فالسخرية والتنابذ بالألقاب، كفيل

---

[213] "لمجلة العربي" وزارة الإعلام – دولة الكويت، العدد 533 – 2003، تاريخ وأشخاص و تراث – عمر شبانة.

لأن يجعل دوائر الاقتتال تتّسع بين الأقارب، وحتى الأخوة، وكأنّها بين أباعد.

وعلى الجميع أن يعترفوا بأنّ من كان يعتقد أنّه الملك لم يعد ملكاً، والذي كان يعتقد الآخرين سفهاء وحقراء ليس لهم إلاَّ أن يبقوا تُبّع، عليه أن يعرف أنّهم قد أصبحوا سادة، ومن يعتقد أنّه سيحلّ محلّ من كانت له مكانة، لمجرّد أنّه يرى ذلك؛ فعليه أن يعرف هذا الأمر لن يكون؛ فأصحاب المكانات القيمية الحميدة سيظلون أصحابها؛ فليقبل بذلك، وينزل عن ظهر البعير الذي ركبه؛ فالرّحلة طويلة، وتحديد وجهتها لا يكون إلاَّ بقرارات جماعية واعية ومسؤولة، والكبار سيظلون كبارا حتى وإن لم يؤخذ برؤاهم.

وكذلك الذين يعتقدون التضحية بالآخرين تمكّنهم من بلوغ ما يشاؤون، هم واهمون؛ ففي هذا العصر لن يعود لأصحاب الوشايات والمظالم مكاناً في زمن ممارسة الحرّية؛ فكل شيء أصبح على البلاطة؛ فإيّاك ثمّ إيّاك أن تكتب تقريراً في أحدٍ بغير دليل؛ فإن كتبته، أو قلته في محاضرة من محاضراتك إن كنت أستاذاً؛ فعليك بانتظار الرّد قضائياً، ولا تستغرب إن سُلِّم إليك

استدعاء من المحكمة لحضور جلسة أنت المتهم فيها، وحينها تفقد شيئين:

الأوّل: تفقد السّمعة التي كنت تظن أنّها لن تحيد عنك أبداً.

الثانية: المكانة التي كنت تظن أنّك ستكون الجالس فيها، أو البطانة التي كنت تريد أن تكون منتمياً إليها.

ومن ثمّ، علينا بالمراجعة التي تمكّن الجميع من المعرفة التامّة، ولا داعي للاستعجال؛ فأخوك أخوك، ولن تجد أخا أقرب إليك منه، وإن ظننت غير ذلك؛ فستكوى بنيران النّدم أكثر من مرّة.

وعليه في زمن المفاجآت في دائرة غير المتوقّع عند البعض ليس بالضرورة أن يصل إلى القمّة من يسعى إليها نضالاً، بل في زمن المفاجأة قد يصل إليها من لم يضعها في حِساباته، ومن هنا، يصبح البعض ينظر إلى البعض والاستغراب يملأ أنفسهم؛ فتزداد أنفسهم امتلاءً ضدّ البعض حتى تفيض.

ولأنّ هناك من ركب موجة الثورة ركوباً، فلا شكّ أنّ الواعين بحقيقة ما هو عليه، سيظلون في حالة استغراب وشكوك، بل

سيظلون في حالة ظنون، وعيونهم تراقب، ممّا يجعل الثّقة بين البعض والبعض إن لم تكن منعدمة فهي على شبه انعدام، وعندما تنعدم الثقة بينهم؛ فالقافلة لن تسير رحلتها في أمان.

ومن ثمّ، لا مخرج من التأزُّمات إلاَّ صحوة الضّمير، والتخلّص من المكابرة، والتسامح مخافة من الله وحده، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[214].

ومع أنّ ما جرى بين الليبيين من تنابذ هو مؤلم ومخالف لأمر الله، لكن التسامح بين الناس قيمة كفيل بطي الصفحة، ولا مفرّ من الذنب إلاَّ الاستغفار والتوبة، ولذا أقول:

. لا للسخرية.

. لا للملامزة.

. لا للتنابذ بالألقاب.

. نعم للاستغفار والتوبة مصداقاً لقوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ

---

[214] الرعد 11.

أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}[215].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[216].

وقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[217].

---

[215] هود 89 ، 90.

[216] التحريم 8.

[217] النساء 17.

التسامح

فضيلة قرآنية

ولأنّ التسامح فضيلة من الله تعالى فقال: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[218]. إذا كان الدين الذي هو منزّل تنزيلا من عند الله لا إكراه فيه؛ فهل يقبل أن يجبر أو يكره من يكره على ما لا يريد، أو ما لا يرغب؟

إذن، (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) هي آية تحمل في مضمونها فضيلة التسامح مع من يختلف معك، أو حتى يخالفك، ولأنّها تحمل فضيلة؛ فهي تحمل رسالة مفتوحة لمن يريد أن يتعظ بما يجب الاتعاظ به.

ولأنّ التسامح مؤسّس على قوله: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) إذن، ينبغي الدّعوة إلى ما يجب الدّعوة إليه دون إكراه، {ادْعُ إِلَى

---

[218] البقرة **256**.

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[219]. أي: أدع إلى سبيل ربّك باللين وفقا لما هو منزّل، وأعرض عن أذاهم إياك (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، والأحسن هو ما يحبب الناس المدعين فيما يدعون إليه وهي الهداية. ومع ذلك، عليك بمعرفة الجاهلين الذين إن خاطبوا المؤمنين قالوا لهم المؤمنون سلاماً {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}[220]. ألا يكون هذا القول دليلا على أنّ التسامح فضيلة من الله تعلى يستوجب الأخذ به طاعة لله وحده؟ وفي المقابل ألا يكون غض النظر عن التسامح جناية تجعل من غاضّين النظر عنه بين يدي الله بين حساب وعقاب؟

ولأنّ التسامح فضيلة قرآنية يستوجب الأخذ به، قال تعالى: (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). القول هنا، موجّه للمسلمين أصحاب الرّسالة الخاتمة، وهو قول أمر ونهي، أمر

---

[219] النحل **125**.

[220] الفرقان **63**.

كونه واجب الأخذ به وهو قول قطعي (لا تجادلوا)، ونهي بمعنى أن لا تقدموا على ما يخالفه. فإذا كان هذا الآمر النّاهي هو مع أهل الكتاب (يهود ونصارى) فكيف لا يكون الالتزام به والأخذ به أكثر من قِبل المؤمنين بالرّسالة الخاتمة مصدر الآية (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)؟

ولأنّ التسامح فضيلة من الله تعالى قال: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}[221]، أي: ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلا منهم بربهم؛ ذلك لأنّ المسلمين كانوا يسبّون أوثان الكفار، فيردّون ذلك عليهم، فنهاهم الله بقوله: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ).

ولأنّ التّسامح فضيلة مقدّرة من عند الله؛ كانت برحمة الله فضيلة مقدّرة من رسوله الكريم محمّد صلى الله عليه وسلّم، مصداقا لقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

---

[221] الأنعام 108.

لَهُمْ}[222]، ولأنّها المقدّرة من الله ورسوله؛ فلم لا تُقدّر هذه الفضيلة من العباد؟

ولأنّها الفضيلة المقدّرة جاء الأمر والرّحمة للرّسول بالإعفاء عن الضالين؛ فكان متسامحا حيث اللين التام من قِبل النبي الكريم الذي به تمّ جمع شمل المتفرّق بما يكسب القلوب، ويجعلها على اللين والمحبة المرغّبة في محبّة الله ورسوله ورسالته الخالدة، وبهذه الفضيلة انتشر الدين الإسلامي تيسيراً لا تعسيراً.

وهكذا دائماً لا تستوي الحسنة ولا السيئة، بل لكلّ ثوابه وعقابه، {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[223]. ولأنّ الحسنة لا تستوي مع السيئة، وجب الدّفع بما هو أحسن، والتسامح والحلم واللين هي الأحسن، ومن هنا، كان التّسامح فضيلة خيّرة على قلوب المؤمنين (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي: عليك بالتسامح معه؛ فالتسامح يقرّبك من الناس

---

[222] آل عمران **159**.

[223] فصلت **34**.

كونه حقّ أمر الله العباد به. ويفسر الطبري قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: "افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنَّه من ملاطفته إياك. وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك"[224].

ولأنّ التسامح فضيلة خيّرة أمر رسوله بأن يقول لعباده: أن يقولوا التي هي أحسن، ولا أحسن بين النّاس من التسامح وجبر الخواطر ولين الجانب، {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[225].

ولأنّه التسامح، وجب الاعتصام بحبل الله الذي يجمع شمل المتفرّقين والمتخالفين مصداقا لقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

[224] تفسير الطبري، جامع البيان ، ج **21**، ص **471**.

[225] الإسراء **53**.

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[226].

ولأنّ التسامح فضيلة خيّرة قال تعالى: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}[227]؛ فماذا تعني هذه الآية ممّا تعني؟

ألا تعني التسامح؟

فمع أنّهم اليهود، لكن الله جلّ جلاله قال فيهم لرسوله عليه الصّلاة والسّلام: (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)، وهذا يدلّ على وجوب التسامح معهم؛ فما بالك بأهمية التسامح ووجوبه مع الأهل والأقارب وبني الوطن والأخوة في الدين؟

ولأنّ التسامح فضيلة خيّرة وقيمة حميدة، كان التسامح من خُلق الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام ولنا خير مثال في ذلك عندما التقى النبي صلى الله عليه وسلم مع أولئك الذين

---

[226] آل عمران **103 . 105**.

[227] النساء **105**.

آذوه وعادوه واضطهدوا أصحابه، وساؤوهم سوء العذاب، حتى إنَّ منهم من مات تحت وطأة العذاب، وضراوة الفتنة.

فماذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم؟

وماذا قالوا له؟

«قال لهم: "ما تظنون أنّي فاعل بكم"؟

قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم!

فقال لهم: لا أقول لكم إلاَّ ما قاله أخي يوسف: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[228].اذهبوا فأنتم الطلقاء[229].

ولأنّ رسول الله عليه الصّلاة والسّلام يجسّد ما يؤمن به سلوكا وفعلا وعملا؛ فهو الذي قال لصحابته وجند رسالته: "استوصوا بالأسرى خيرًا"[230].

[228] يوسف 92.

[229] مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص 341.

[230] المرجع السابق، ص 341.

التّسامح

حقّ إنساني

التّسامح كونه فضيلة خيّرة؛ فهو قيمة حميدة به يتم تقدير الظروف وتفهّم الأحوال واستيعاب القضايا البشرية بحكمة لتستمر العلاقات هادئة على وتيرة من الاحترام والاعتراف المتبادل، وذلك بوجوب ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسؤوليات؛ فالتسامح كونه فضيلة خيّرة وقيمة حميدة؛ فهو مشبع أخلاقي للطمأنينة النفسية التي كلّ النّاس في حاجة لإشباعها.

وفي هذا الاتجاه يقول فولتير: "التّسامح هو نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، إنّنا جميعاً من نتاج الضّعف، كلنا هشّون

وميالون للخطأ، ولذا دعونا نسامح بعضنا البعض ونتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل"[231].

ولأنّه التسامح؛ فهو الممكّن من بلوغ الرّقي الإنساني ذوقاً ومعرفةً وحكمةً وخلقاً، وإلاَّ هل يمكن أن تكون الإنسانية إنسانية إذا فقدت فضيلة التسامح وقيمته الحميدة؟ أي: إنّ الإنسان بماذا هو إنسان؟

لا شكّ أنّ التسامح (toleration)، لا يُبلغ إلاَّ من قِبل أصحاب الرّؤى البعيدة (وهم الذين نظرتهم لا تتوقّف عند حدّ أقدامهم) وهنا، تكمن قيمته الفعلية بالنسبة للرّقي الإنساني في مختلف نواحي الحياة المادية والرّوحية.

التسامح، بمعناه الأخلاقي، أنّه: "موقف فكري وعملي قوامه تقبّل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء

---

231 مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص **341**.

أكانت موافقة أم مخالفة لمواقفنا، وبعبارة مختصرة: التسامح هو احترام الموقف المخالف"[232].

إذن، لولا التسامح، لظلّ الخلاف خلافاً قائما إلى النّهاية، ولكن به يتم تجاوز الخلافات دون تجاوزٍ للمختلفات؛ فالمختلف سيظل مختلفا بطبعه الذي فيه المزيد من التنوّع الممكّن من المزيد المعرفي، أمّا الخلاف؛ فهو العائق أمام التقدّم العلمي والمعرفي، ومن هنا، وجب التسامح الذي به تسوّى العلاقات وتقوى اللحمة الاجتماعية والوطنية والعلائقية على أيّ مستوى من المستويات الإنسانية. ومن الحقائق الرّاسخة منطقيا أنّه لا تسامح بدون اختلاف. ولهذا، نصّ الميثاق التأسيسي لليونسكو في ديباجته على: "لما كانت الحروب تتولّد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تُبنى حصون السلام"[233]. وبمناسبة

---

[232] الجمهورية نت، التسامح في الفلسفة.. موقف ابن رشد من الآخر، 04 مارس – آذار 2010.

[233] اليونيسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم،

العيد الخمسين لليونسكو في 16 نوفمبر 1995، اعتمدت الدّول الأعضاء إعلان مبادئ بشأن التسامح يؤكّد، من جملة المبادئ التي يؤكد عليها: "على أنّ التسامح لا يعني التساهل، أو عدم اكتراث، بل هو احترام وتقدير للتنوّع الغني في ثقافات هذا العالم وأشكال التعبير وأنماط الحياة التي يعتمدها الإنسان؛ فالتسامح يعترف بحقوق الإنسان العالمية وبالحرّيات الأساسية للآخرين. وبما أنّ النّاس متنوّعون بطبيعتهم؛ فوحده التسامح قادر على ضمان بقاء المجتمعات المختلطة في كلّ منطقة من العالم"[234].

لقد تمّ التأكيد في ميثاق الأمم المتحدة على التسامح وربطه بالسّلام، وحسن الجوار وحقوق الإنسان الأساسية، التي بدورها تفضي إلى خلق حالة دائمة من التسامح، سواء بين الأفراد أو بين الشعوب. وجاء في البند الثاني من المادة السادسة والعشرين: "يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية

---

[234] المصدر السابق.

وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام"[235]. وقد رد التسامح في البند الأوّل من المادة الثالثة عشر من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. "توثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم ومختلف الفئات السلالية أو الاثنية أو الدينية، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم"[236].

ولأنّ التسامح قيمة أخلاقية؛ فكل شعوب العالم تقرّه قيمة إنسانية، به تعاد الثّقة في من غرست فيهم لولا الخلاف الذي هو من طبيعة البشر الذين لا لا يقفون عند حدودهم؛ فيمتدون على حساب حقوق الآخرين.

وعليه، أقول:

---

[235] المصدر السابق.

[236] اليونيسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم،

(عندما تكون على الحقّ؛ فعليك بالتّسامح مع من خاصمك من النّاس، وبخاصّة الأقارب. وعندما تكون في حاجة لمرضاة الله؛ فعليك بالتسامح مع الأقارب قبل الأباعد).

التسامح مرتبط بالأخطاء:

إنّ الأخطاء التي هي نتاج تعمّد تعدّ انحرافا ينبغي المعاقبة، ولكن التسامح كفيل بالتسوية التي تعيد الأمور إلى ما يجب أن تكون عليه، ولهذا، لو لم تكن الأخطاء ما كان للتسامح وجود، ولا أهمية، وهنا، يختلف الخطأ عن الخطأ، كون الخطأ يقع بأسباب قصد الشيء وإصابة غيره، مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسن، كمن رمى صيداً فأصاب إنساناً، وأَخْطَأَ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّد، أمّا الخطاء؛ فتعمد الخطأ؛ فلا يكون إلا قبيحا والمصيب مثل المخطئ[237].

---

[237] معجم الفروق اللغوية، الفروق اللغوية، ص **221**. والنهاية في غريب الحديث والأثر، ج **2**، ص **44**.

إذن، كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو قابل للتسوية إذا أخذنا بقيمة التسامح، وكلّ شيء قابل للتأزّم إذا غفلنا أو تعمدنا إهمال قيمة التسامح.

فالإنسان من طبعه الوقوع في الخطأ، ومن طبعه أيضاً تصحيح أخطائه، أي: إنّ المعلومات الخاطئة توقع في الأخطاء جميع من يأخذ بها على أنّها معلومات (هي كما هي) دون أن يكشف ما تحمله من أخطاء، ولكن الواعين متى ما اكتشفوا أنّهم قد وقعوا في أخطاء صحّحوها، ولأنّهم الواعون؛ فلا يكابرون من تقديم المعذرة لمن لحقهم ممن لحقهم بأسباب المعلومات الخاطئة، التي تمّ الأخذ بها في فترة من الزّمن، وفي المقابل الواعون الذين وقع عليهم الفعل المترتّب على المعلومات الخاطئة لا يكابرون من التسامح.

أمّا الجهالة؛ فستظل عنيدة على تقديم اللين والقبول بالتسامح من الجولة الأولى. وفي ذلك يقول جورج أولبرت: "مسؤولية التسامح تقع على من لديهم أفق واسع"[238].

أمّا مهاتما غاندي فقال: "لا أحب كلمة التسامح، ولكنّني لم أجد أفضل منها، ثمّ قال: إذا قابلت الإساءة بالإساءة فمتى تنتهي الإساءة"[239]، ويقول في هذا الشأن جورج هربرت: " من لا يستطيع التسامح يهدم الجسر الذي يجب أن يعبره"[240].

ومع أنّه التسامح، لكن التسامح لا يكون إلاَّ فيما يجب، وهو غير المحرّم بالمطلق، أمّا ما دونه؛ فالتسامح كفيل بالتسوية في دائرة الممكن المجاز.

التسامح ليس تغاضٍ عن خطأ، ولكنّه تجاوز عنه، ذلك لأنّ الضعفاء هم الواقعون في الأخطاء أكثر من غيرهم، ولأنّهم ضعفاء؛ فلا يمكنهم إلاَّ الانقياد وراء ضعفهم، ومن هنا؛ فهم في

---

[238] ملتقى رابطة الواحة الثقافية، ملتقى النخبة العربية، عادل عبد الوهاب، القطوف الدانية من الحكم الغالية.

[239] المرجع السابق.

[240] المرجع السابق.

حاجة لمن يعذرهم بعد أن يكشف لهم علل ضعفهم التي أوقعتهم فيما أوقعتهم فيه من أخطاء، ولذلك كان التسامح ضرورة لمن غالبهم ضعفهم من قبل الذين يمتلكون القوّة والمقدرة الممكّنة من التسامح.

وعليه؛ فالتسامح لا يكون إلاَّ نتاج تفهّم الظروف وتقديرها، وبذلك يصبح التسامح إعطاء الفرصة للغير بهدف تجاوز الماضي المؤلم.

التسامح

بين خلاف واختلاف

لا يمكن أن يكون الخلاف بين النّاس سائداً إلاَّ إذا رأي كلّ طرف أنّه صاحب الحقّ، وغيره لا حقّ له. ولا يمكن أن يكون الخلاف لو لم يكن الباطل، والظلم، والإقصاء، والتغييب، والعزل السياسي، أشياء سابقة على وجوده.

وعليه؛ فهذه العلل تؤدّي إلى الخلاف، والخلاف بدوره يؤدّي إلى ما بعده من علل، كالشقاق والخِصام والنِّزاع والصِّدام والعداوة، وهذه العلل بدورها تؤدّي إلى الفُرقة، التي تؤدّي من بعدها إلى أشد المواجهات إن غفل أطرافها عن قيمة التسامح المخلّصة من شدائد التأزّمات والآلام[241].

[241] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، ص 32.

ولأنّ التسامح قيمة أخلاقية وإنسانية جامعة لا مفرّقة؛ فَلِمَ لا يقدم عليه الجميع الذين هم في حاجة إليه؟

ولماذا البعض يتعصّب إلى ما يؤدّي إلى التمسّك بمفهومي (أنا أو أنت)، التي تسمح بمسافة فراغ تجذب مشاعر الخوف وأخذ الحذر إلى كلّ منهما؛ ولهذا؛ فكلّما زاد الأنا تمسّكا وتعصّبا بأناته، كلّما اندفع الـ(أنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد الشكوك وتقلل من الثّقة التي ينبغي أن تسود بين الطرفين (أنا وأنت)؛ فأنا الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرّية ينبغي أن أعمّ النّاس، وأنا الشفافية ينبغي أن أكون السلوك والفعل، وأنا الوطن ينبغي أن أكون ملكاً خالصاً لأهلي، وأنا الأبوة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يحرم أحد من مشاعري وانتمائي. وبهذا يصبح أنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل، أو أردتم الاعتراف والتقدير. وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق ينبغي أن يمارسوها، ولهم واجبات

ينبغي أن يؤدّوها، ولهم مسؤوليات ينبغي أن يحملوها، ويتحمّلوا ما يترتب عليها من أعباء[242].

ومن ثمّ، تصبح كلمة (أنا) كلمة حقّ لابدّ أن تقال. وفي المقابل تصبح كلمة الباطل التي عليها (أنت) باطل لابدّ أن يزال، وكلمة (العبودية) في خبر كان بأسباب الحرّية، وعندما تكون (أنت) الاستعمار يجب أن تُهزم، وأنت القيد يجب أن تُفك أو تُكسّر، ولذلك؛ فأنت لم تكن أنا؛ ويا ليتك تفهم أنّنا نحن سوياً بنو وطن واحد، والاختلاف فينا، والتسامح يطوى المسافات التي تفصل بيننا.

وعليه، إن لم يحدث اللقاء والتفاهم المنطقي الممكّن من التسامح بين (أنا) و(أنت)؛ فسيكون الصّدام هو سيد الموقف. ولكن إنْ أردنا الحلّ؛ فعلينا بالجلوس على طاولة التسامح التي تجمع شتاتنا، وتخلّصنا من الفُرقة والحاجة، وتبعد عنا المترتّب

---

[242] المصدر السابق، ص 60.

على الصدام والخصام. وإن لم نفكّر في مستقبلنا المشترك؛ فلا تستغرب أن يكون في دائرة الممكن غير المتوقّع مؤلماً[243].

ومع أنّ أصل الخلق الإنساني واحد من نفس واحدة (آدم) عليه الصّلاة والسّلام، لكن المعرفة بين النّاس مختلفة كما هي مختلفة بين مكوّنات الخلق الذين يمتلكون ملكة التمييز كما هو حال (الملائكة والجن والإنس)؛ فبالمعرفة يتوحّد المخلوق المميّز، وبها يفترق، وبها النّاس يهتدون، وبها يضلون، وبها يعدلون ويظلمون، ويؤمنون ويكفرون، ويشركون وينافقون، ويفسقون ويكذبون ومع ذلك يتسامحون.

ومع أنّ أساس الخلق الإنساني واحد، إلاّ أنّ الاختلاف والخلاف بينهم مؤسّس على التكريم للإرادة الإنسانية؛ فكان التسيير والتخيير بين القوّة والإرادة، أي: إنّ التسيير بالقوة بيد الله حيث لا مخلوق يستطيع أن يغيّر أمر الله؛ فالليل والنّهار والشّمس والقمر والنجوم والحركة والسكون هي على القوّة بيد الله تعالى، أمّا التخيير فأمره بإرادة ورغبة المخيّر بين هذا وذاك.

---

[243] المصدر السابق ص 61.

قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[244] ومن هنا، أقول: إنّ خير الخيرات هو التسامح.

قال تعالى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا}[245] ولأنّهم اختلفوا؛ فلا استغراب أن شبّت الخلافات بينهم، وإن شبّت؛ فالتسامح كفيل بطي صفحاتها. أي: إنّ أساس الخلق واحد كلّكم لآدم وآدم من تراب، ولكن بعد النبوءات والرّسالات السماوية الخالدة آمن من آمن، وبقي على كفره من بقي، وبين هذا وذاك نافق من نافق، وكذب من كذب، وبقي من بقي مؤمناً، وارتدّ من ارتد بعد إظهار الإيمان، ومن ثمّ أصبح الاختلاف ضرورة من أجل استمرار الحوارات والمناقشات وعدم اليأس والقنوط، ولهذا، دائماً الاختلاف الموضوعي من ورائه رسالة، أو فكرة ذات أهمية، ممّا يجعل البعض داعيه لها، والبعض مدعو

---

[244] المائدة 48.

[245] يونس 19.

إليها، ولذا؛ فالاختلاف لم يكن من أجل القطيعة، بل من أجل الاتصال، والالتقاء، والتفاهم، والتوافق، والتعاون والتسامح.

ومع أنَّ الاختلاف يقود إلى الالتقاء، لكن أثناء اللقاء قد يستوجب الموضوع الذي تلتقي الجماعات من أجله إلى طرفٍ محايدٍ، ليكون حكماً فيما هم فيه مختلفون، {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[246].

نزلت الآية الكريمة موجّهة إلى سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، من أجل أن يقضي بين المختلفين في الأمر من يهود ومسيحيين ومسلمين، وقضاؤه حكم عدل لأنّه حكم بما أمر الله به، وليس بحكم رؤية شخصية، ذلك لأنّ المختلفين جميعهم يؤمنون بالله تعالى، ولكن يختلفون في مناهجهم وشرائعهم وأساليب حياتهم، ومن هنا؛ فالمختلفون لهم من المعطيات ما

---

[246] المائدة **48**.

يجعلهم يلتقون أكثر مما يؤدّي بهم إلى الخلاف، مصداقاً إلى قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[247].

ويكون الخلاف بين الأنا والآخر على أشدّه إذا لم يقبل أحدهما بوجود مساحة للاختلاف بينهما، ولذلك؛ فالاختلاف يؤدّي إلى الالتقاء والتحاور والتفاهم، والتسامح، وبخاصّة إذا تفهّم كلّ طرفٍ ظروف الطّرف الآخر، وقدّر مبرّراته التي كان اللبس والغموض مؤثرا من مؤثّراتها السلبية.

أمّا الخلاف الذي يبلغ أصحابه القطيعة؛ فلا شيء من بعده إلاَّ العفو، أو الصفح، أو التسامح، أو الصلح، أو الاستمرار في

---

[247] آل عمران، 64 . 67.

المقاتلة التي سيكون الزّمن كفيلا بإنهائها انتصاراً في مقابل هزيمة.

وعليه؛ فإنّ لكلّ من الاختلاف والخلاف قاعدة؛ فقاعدة الاختلاف تنصّ على:

(إذا كان رأيي على خطأ؛ فرأيك على صواب) ومن هنا، يلد التسامح من رحم الاعتراف.

أمّا قاعدة الخلاف فتنصّ على:

(رأيك خطأ، ورأيي صواب) وهنا، لا يجد التسامح أرضية ليولد عيها.

وبمقارنة القاعدتين نتبيّن:

إنّ الاختلاف مؤسّس على قاعدة منطقية أخلاقية (إذا كان رأيي على خطأ، فرأيك على صواب).

أمّا قاعدة الخلاف فمؤسّسة على الإكراه والإرغام، (رأيك خطأ، ورأيي صواب).

وبناء على هاتين القاعدتين؛ فالاختلاف لا يمكن أن يكون ضدّ الاتفاق، بل الاختلاف من أجل بلوغ الاتفاق ذاته. وبهذا،

يكون الاختلاف ضدّ الانفراد والتفرّد بالأمر المشترك حيث لا مغالبة، ويكون الخلاف من أجل التفرّد والانفراد بالأمر المشترك، أي: إنّ الاختلاف ضدّ الفردية والتفرّد بالأمر، أمّا الخلاف؛ فمع الفردية والتفرّد بالأمر الذي فيه تكمن المغالبة، ومنه يتولّد الإقصاء[248].

إذن، التسامح قيمة حميدة لا تسود بين النَّاس إلاَّ بعد اختلاف وعن إرادة؛ فحيث ما كان التسامح بين النَّاس قيمة مقدّرة ومفخّمة، كان الانسجام والتفهُّم بينهم سائداً مع وافر المودة.

فالتّسامح قيمة اجتماعية وإنسانية بلوغه ممكنٌ، ومن بلغه تجنّب المظالم، وآمن الآخرين، واطمأنَّ معهم، ممّا يجعل التسامح قيمة حميدة دالة على تقارب المطلب مع الرّغبة، وتقارب الحاجة المتطوّرة مع مشبعاتها المتنوّعة وظروفها الموضوعيّة، وهو المحقّق للرّضا.

---

[248] المصدر السابق، ص 67 . 74.

التسامح

غاية الخلاف والاختلاف

مع أنَّ الاختلاف والخلاف، يحدثان بين النّاس في كلّ وقت، وعبر الزّمن، ولكنّهما على غير غاية في ذاتهما، بل الغاية من ورائهما هي التسامح، الذي يعيد العلاقات بين المختلفين، أو المتخالفين إلى طبيعتها، فتمتدّ مودّة ومحبّة بين أبوة، وأخوّة، وأسرة، وعمومة، وجيرة، كما تمتدّ بعد ذلك مودّة ومحبّة في بعدها الربّاني والأخلاقي والوطني والإنساني.

التسامح قيمة عاطفية أخلاقية، تمتدّ محبّة، من عاطفة الأبوة والأخوة، إلى العاطفة الإنسانية التي خُلق الإنسان عليها في أحسن تقويم، ومع أنّها قيمة محمودة، لكنّها لا تسود إلاَّ بعد

اختلاف، أو خلاف، وهي كما تسود بين الأباعد، تسود بين الأقارب، والأخوة، كما سادت بين يوسف عليه الصّلاة والسّلام وأخوته، {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[249].

وكما أنّ التسامح قيمة أخلاقية واجتماعية وإنسانية؛ فكذلك الاعتراف بالخطأ قيمة أخلاقية واجتماعية وإنسانية، ولأنّها كذلك؛ فقد اعترف أخوة يوسف بأنّهم كانوا مخطئين في حقّ أخيهم وأبيهم عليهم الصّلاة والسّلام. وباعتراف أخوة يوسف أنّهم كانوا مخطئين، بادرهم يوسف على الفور بالتسامح، (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)، ثم سأل الله أن يغفر لهم بواسع رحمته.

ولأن التسامح قيمة حميدة بين النّاس، كان يوسف من عباده خير متسامحٍ مع إخوته مصداقاً لقوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} . فقوله (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ

---

[249] يوسف 91 ، 92.

الْيَوْمَ) بمعنى لا غضب، ولا كره، ولا حزن، ولا ألم عليكم اليوم بعد أن اعترفتم بأنّكم كنتم مخطئين، ولذلك، (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ).

إذن، المتسامح هو الذي يعلم ما يحيط به من مظالم ومكائد، ومع ذلك لا يطوِّر مواقفه تجاهها، بل يقابلها بالتسامح وهو يمتلك القوّة، التي بها يستطيع أن يواجه أصحابها ويهزمهم، ومع ذلك وكأن من عمل له من عمل، ولي حميم.

وهكذا، كان تسامح يعقوب مع أبنائه، بقوله، {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} .

إذن، لم يكن بعد الاختلاف، والخلاف، والصّدام، والخصام، والصراع، إلاَّ التسامح؛ ذلك لأنّ التسامح فضيلة خيّرة، وقيمة حميدة مقدّرة، بين من امتلأت أنفسهم غضبا بأسباب المظالم.

التسامح طِيبُ نفس، مع قوّة إرادة، تمكّن من التنازل الموجب مع الاحتفاظ بالرّضا تجاه من تمّ تقديم التنازل إليه، ولذلك؛ فالتسامح قيمة مُفضَّلة أخلاقيا واجتماعيا وإنسانيا، يميل البعض إليه مخافة من الله ومحبّة في استيعاب الآخرين، من أجل

قيادتهم إلى ما يجب أن يُتّبع، والحياد بهم عما يجب الحياد عنه.

ولأنّ التّسامح قيمة حميدة بين النَّاس؛ فهو المترتّب على اقتراف خطيئة، أو سوء تفاهم، أو ارتكاب مظالم؛ ومن هنا؛ فالتّسامح من مظاهر المغفرة بين المختلفين والمتخالفين (أقارب أم أباعد)، به يُغفر الذنب، وتتآلف القلوب بعد فراق، أو قطيعة، أو جفاء، ولذلك؛ فهو لين بعد شدّة وبعد ألم وتأزُّم؛ ممّا يجعل الأنفس والقلوب مطمئنة، بعد أن يتمَّ الإعفاء عنها، وذلك بما ارتكبته من أخطاء في حقِّ الآخرين.

ولأنَّ القرآن الكريم مصدر الحلّ العادل؛ فجازى السيئة بالسيئة المماثلة، والعدوان بالعدوان، إلاَّ أنَّ السيئة الأولى مظلمة وفتنة وباطل، أمَّا السيئة الثانية؛ فهي الحلّ العدل، الذي يجب أن يؤخذ به من أجل دمغ الباطل حتَّى يُزهق، ولهذا؛ فمن عمل سيئة يجزى بسيئة مثلها مصداقاً لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا} . وهكذا بالنّسبة للعدوان {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ} .

إذن، كما جاء القصاص من السيئة بسيئة مثلها؛ فكذلك جاء قصاص العدوان بالعدوان المماثل له، ولكنَّ العدوان الأوَّل غير العدوان الثاني مع وافر التماثل؛ فالعدوان الأوّل، بلا سبب، ولذا؛ فهو مظلمة، وجب الردّ عليه، لردع المعتدين ظلماً، أمَّا العدوان الثاني؛ فهو حقّ وحلّ لمشكلة وقعت؛ فيجب الأخذ به، ولكن في المقابل من عفي وصفح وسامح؛ فالأمر مجاز عليه.

ولأنَّ التّسامح قيمة حميدة؛ فهو سُنّة بين النَّاس أقرّتها الأديان والأعراف الاجتماعية عبر التّاريخ، وسنّها الأنبياء قبل غيرهم، وقدّرها من قدّرها من بعدهم من العباد؛ فكان التّسامح قيمة مفضّلة منذ البدء حيث الصراع بين ابني آدم عليه الصَّلاة والسّلام حين قال أحدهما للآخر كما جاء في قوله تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} .

وعليه؛ فالتسامح هو فعل من يعلم الحقّ ويتّبعه دون تشدّد، ولا تعصُّب، ولا تنازلات، والمتسامح هو من يمتلك حقّ التصرّفَ في الأمر الذي يتعلّق به؛ ممّا يجعل التسامح حقّا له فيما يودّ أن

يسامح فيه أو يعفو دون أن ينازعه فيه منازع؛ وهو الذي يُقدّر الظرف والحالة، ويستجيب لها مودّة وإحساناً، ومغفرة.

ومن ثمّ؛ فالتسامح إعلان المودة والمحبّة بين النَّاس، وتجنّب الفتن من أجل علاقات مرضية وحسنة، وفي ذلك قال فولتير: "أنا أكره ما تقول، ولكنني سأدافع حتَّى الموت عن حقِّك في أن تقوله".

ولهذا، من القيم الإنسانية، وجوب التّسامح مع المختلف في الثقافة، والدين، والمعتقد والعرف. وإذا لم تَسُدْ قيمة التسامح بين الأفراد، والجماعات، والمجتمعات، وحكوماتهم وقادتهم، وقمم سلطانهم؛ فلا يمكن أن يسود الاحترام، ولا التقدير بينهم.

ولسائلٍ أن يسأل:

مَن المتسامح؟ ومَن الذي في حاجة إلى التّسامح؟

نقول:

المتسامح صاحب الفضل، الذي له الأجر عند الله تعالى، أمّا الذي في حاجة للتّسامح؛ فهو مرتكب الذّنب، أو الجرم، أو الخطأ، الذي هو في حاجة لرضا المختلف معه كي لا تتأزّم المواقف وتشتدّ، ويترتّب عليها ما لم يحمد عقباه، ممّا يجعله

يسعى مباشرة أو عن طريق وسطاء إلى تقديم المعذرة، والاعتراف بالخطأ، حتَّى يرضى المظلوم من قِبله؛ فإن رضي، تحقّقت قيمة التّسامح بينهم بما تحتويه من عفو، وصفح وطيب نفس.

والتّسامح يؤدّي إلى التخلّص من الهموم، والذنوب، والعيوب، والتأزُّمات، ويُطهّر الأنفس، ويجبر العلاقات بين الأفراد والجماعات، لتعود على ما كانت عليه دون توتّر.

ومن ثمّ؛ فالحكماء هم دائماً قادرون على تقدير الظروف، وما يجب تجاه كلّ ظرف؛ فلا يشترطّون فيما لا يجب، كما أنّهم يلتمسون المعذرة للغير، ولأنَّهم يعرفون أنّ الإنسان لم يُخلق على الكمال؛ فهم يعذرون ويتسامحون حتَّى لا تسود الفتن بين النّاس، أفرادا، أو جماعات، أو شعوب، أو قبائل وأمم.

ولأنَّ للتسامح قيمة حميدة بين النَّاس؛ فلا يأتي التسامح إلاَّ بعد اختلاف، أو خلاف، أو اقتراف خطيئة، لتتألف القلوب به بعد فراق، أو قطيعة، أو جفاء، وهو اللّين بعد الألم والتأزُّم، وهو المحبّة بعد الكراهية؛ فبه تطمئن الأنفس بعد كلّ عفو عمّا ارتكب من أخطاء في حقِّ الغير.

والتّسامح تساهل بعد شدَّة ألمّت بمن ألمّت به من النَّاس، به يسود القبول والتّجاوز عمّا يؤثّر سلبيّاً على العلاقات بين النَّاس؛ فيصبح هذا التّسامح الذي به تمّ التجاوز لِما يعيق مُمكّنا من تحقيق الأهداف، والأغراض، والغايات الوطنية المشتركة دون كيدٍ ولا مكرٍ.

ولهذا؛ فالتّسامح قيمة مُفضَّلة أخلاقيّاً وإنسانياً يميل البعض إليه محبّةً في استيعاب الآخرين؛ من أجل الحياد بهم عمّا يجب الحياد عنه، والدّفع بهم إلى ما يجب أن يُهتدى إليه ويُتّبع.

وعليه؛ فالتسامح هو فعل من يعترف بالحقّ ويتّبعه، دون تشدّد، ولا تعصُّب، ولا تقديم تنازلات غير مرضية، وهو فعل من يمتلك حقّ التصرّفَ في الأمر الذي يتعلّق به؛ ممّا يجعل العفو والتسامح حقّا له فيما يودّ أن يسامح فيه، أو يعفو دون أن ينازعه فيه منازع؛ وهو الذي يُقدّر الظرف، والحالة، ويستجيب لها مودّة، وإحساناً، وكذلك يُقدّر أنّ الإنسان يخطئ ويصيب؛ فإن اضطرّ لذلك؛ فلا إثم عليه، بل ينبغي أن يُراعىَ ظرفه كما هو الحال عند كلّ من:

أ . المضطر: الاضطّرار حالة تلجئ صاحبها للمخالفة على كلّ صعيد، كالحاجة إلى الطّعام، وذلك لأنّ الاضطرار في دائرة الممكن يوقع العبد في الحرام، وليس عليه شيء ما دام خارج سور البغي؛ فإذا دخله اختلف الحكم عليه، أمّا إذا حرص العبد على الطّاعة، واضطّر إلى الوقوع فيما حرّم الله؛ فإنّه يجد الله العفو غفوراً رحيماً، {إِنَّمَا حَرَّمَ عليكم الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عليه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[250] .

ومن هنا، وجب على الإنسان أن ينتبه إلى فكرة الاضطرار، ويلمّ بمعانيها، ويدرك حدودها بالتحديد، ليستطيع التمييز بين عاصٍ باغٍ، وبين مضطّرٍ ذي حاجة؛ فيجعل لكلٍّ منهما حدّاً كما علَّمه المولى عزَّ وجلَّ، وبذلك، تؤخذ العبر في الأحكام، ليكون التّسامح قيمة سائدة بين النَّاس، دون أن يكون التّسامح على حِساب القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، والأخلاق الكريمة.

---

[250] البقرة **173**.

ب . الضعفاء والمرضى والمحتاجون؛ فهؤلاء جميعهم قد أصابهم العفو برحمة من الله؛ فرفع عنهم الحرج، {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، وهكذا المعاهون الذين يعانون من عاهة؛ فهم وظروفهم لا حرج عليهم عند المتسامحين، {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} .

ج . الأطفال: وهم الذين يُلتمس لهم العذر في أفعالهم وأقوالهم، إلى حدٍّ معيّن، هو البلوغ، فإذا أتمّوه كانوا خارج الاستثناء، {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عليم حَكِيمٌ} ؛ فهذه الآية توجب التّسامح لأسباب القصور، ويا ليت النّاس يتعظون.

د . الشيوخ: غير أصحاب الحاجة إلى النّساء، وهم الشيوخ الطاعنون في العمر، الذين فنت شهواتهم، {غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} .

ذلك ما يجب أن يتحلّى به الإنسان، ليكون متسامحاً، واسع العفو، وأن يتّسع صدره لكلِّ من يحتاج عونه الذي هو صفة لمن استمدّ صفاته من العفو المطلق جلّ جلاله.

هـ . الضعفاء: سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات، عندما يخضعون اضطرارا للاستخدام بأسباب الحاجة، ويظلمون الآخرين وهم مكرهون، أو أنّهم مضطرون؛ فلا شكّ أنّ التسامح معهم يعدّ إعلان مودة، به يتمّ تجنّب الفتن.

وعليه؛ فالتّسامح سُنة مرتبطة بالأخطاء القابلة للمغفرة والعفو، {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، ولأنّ الحياة مليئة بالسُنن، قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ).

إذن، لكلِّ مشكلة حلّ، إمّا تسامحا، أو عفو، أو صفح، أو تصالح، أو قصاص، وكلّ هذه الحلول مرضية عندما تؤسّس على الفضائل الخيّرة، والقيم الحميدة، وسيادة العدالة.

ولهذا؛ فالتسامح لم يعد قيمة في ذاته، بل قيمة في اتخاذه موقفاً حاسماً في فصل القضايا والمشاكل العالقة بين الأفراد والجماعات والشعوب والأمم. أي: إنّ قيمة التسامح تكمن في تجسيده سلوكا وفعلا يمكن الأخذ به لفكّ التأزُّمات واتخاذه درساً نافعا وعبرة لمن يعتبر.

ولهذا؛ فالتسامح قيمة أخلاقية وإنسانية عندما يؤسّس على الاحترام والتقدير والاعتبار والاعتراف بالغير وما لهم من خصوصيات بها، يتميزون عن غيرهم. فالتسامح موقف من الرّفض، وقبول بالمسالمة، وحياد عن المقاطعة، وتخلي عن الخصام، وطي صفحة الجفاء، والأخذ بالمشاركة، إنّه استجابة ضميرية بما يجب تجاه الآخرين، وكِبرٌ عن الصّغائر ومثيرات الفتن.

ومن ثمّ؛ فالتسامح لا يكون موقفاً سلوكياً إلاَّ من قِبل المتوازنين نفسيا وقيميا وأخلاقيا، ومع ذلك في بعض الأحيان كلما كان التوتر سائداً، فقد التسامح مكانته بين المتوترين، ولكن أصحاب الخبرة والدراية والموعظة دائما هم الواعون بما يجب وبخاصة عند الشدائد.

التسامح يستوجب

تصحيح

المعلومات الخاطئة

الحياة البشرية مليئة بالأخطاء والخصومات والانحرافات والصدامات، ومع ذلك فالشعوب دائما في حالة تدافع من أجل تصحيح مواقفها وتغييرها إلى الأفضل والأجود، ولو بقيت الشعوب ساكنة على تلك القيم السلبية لفسدت حياتها، وتقطّعت علاقاتها وروابطها الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية والذوقية.

فالتدافع حركة مستمرّة به تعمر الأمصار وتؤسّس الحضارات وتنهض، وتتقدّم العلوم والمعارف والثقافات الدافعة لعجلة التقدم، ومع ذلك لا يمكن أن تنقطع النزاعات والخصومات

والصدامات التي تشكّل عوائق أمام حركة تدافع الأفراد والجماعات والمجتمعات على ما يمكّنهم من النهوض والبناء والإعمار.

ولذا، لو لم يكن التسامح ملاحقا لهذه العلل، لكانت الحياة لا تزيد عن كونها شقاوة، ومن ثمّ، فالتسامح قيمة محفّزة على البقاء الممكّن من استمرار الروابط الإنسانية والاجتماعية، المُمكّنة هي الأخرى من البقاء النوعي الذي يتولّد منه العرف المتولّد هو الآخر من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ممّا يجعل للحياة طعما وذوقا.

ومن ثمّ؛ فالتسامح نتاج الاعتراف بالأخطاء سواء أكانت من المعلومات التي تمّ الحصول عليها أو تلقّيها من قِبل البعض، أو بأسباب ذاتية (كيد ومكر)، وفي كلتا الحالتين؛ فإنّ المعلومات الخاطئة قابلة للتصحيح بمعلومات صائبة وصادقة، وكذلك الأفراد قابلون للتقييم والتقويم السلوكي، ولهذا؛ فكلّ شيء قابل لأن يتغيّر، ممّا لا ينبغي أن يكون عليه، إلى ما يجب أن يكون، وبذلك يجد التسامح أرضية يمتدّ فيها بين النّاس، وبهذه

المعطيات تتولّد المودة في الصدور، ويصبح التسامح بين النّاس مولودا مدلّلا.

ومن ثمّ؛ فالخطأ ليس العيب، ذلك لأنَّ العيب سلوك مشين لبني الإنسان، ولا يقدم عليه إلا مخطئ عن عمدٍ، وهنا، يصبح القصد به تقليل شأن الآخرين والاعتداء عليهم بما لا يجب، أمّا الخطأ؛ فالكلّ معرّض لأن يقع في مصيدته التي تنصب في كلّ الطرقات. ومع ذلك؛ فالتسامح كفيل بالمعالجة وعودة الأمور إلى نصابها، بل هناك من كوّن علاقة جميلة بعد خصام مع الآخرين.

ولأنّ الإنسان خطاء بطبعه؛ فكيف لا يقع في الأخطاء؟ ولكن في المقابل لا يليق به الاستمرار فيما وقع فيه من خطأ، ولأنّ الإنسان خطاء، فلا استغراب، الاستغراب أن لا يصحح أخطاءه. ولأنّ الجميع معرّضون للوقوع في الأخطاء؛ فوجب التسامح.

تصحيح المعلومة:

المعلومة هي حاملة الأخبار وكاتمة الأسرار تنقلها الكلمات من مُرسل لمستقبل، وهي في حالة امتداد بين قبول ورفض وإضافة وتعديل، وغموض ووضوح، ولأنّها بين هذه وتلك؛ فهي في حاجة لأن تُصحَّح، حتى لا تزوّر الحقائق، ويحيد الكلام عن مواضعه، ولذا؛ فإن تصحيح المعلومة يتطلب مصدرا صادقا، وباحثا غير متحيز وقادر على أن يتبيّن، وأن يميز بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، وقادرا على أن يستقرئ ويستنبط من القول والنّص دلالة ومفهوما ومعنى.

قواعد

تصحيح المعلومة بالمعلومة

تصحيح المعلومة الخاطئة يستوجب توفّر معلومة صائبة، والمعلومة الصائبة تتطلّب لسان حقّ لقولها، ومستمعا منصتا لها بكلّ اهتمام، وحكما بها يفصل بين الناس. ولذلك فالقاعدة المنطقية والعلمية تنصُّ على أنّ:

1 . المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

2 . المعلومة تصحّح بالمعلومة.

3 . المعلومة السّالبة انحرافية.

4 . المعلومة الموجبة بنائية.

5 . التصحيح وجوبي.

ولأنّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذن، الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا، وجب العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفاً؛ وإذا لم تُصّحح المعلومات الخاطئة، التي جعلت منه منحرفاً؛ فيصعب على أفراد المجتمع تمكينه من تأدية وظائفه الاجتماعية على أحسن وجه.

وبما أنَّ الانحراف السالب، هو نتاج معلومات خاطئة، والعودة للقيم الحميدة هو نتاج معلومات صائبة.

إذن، الإصلاح السلوكي في حاجة لمعلومات صائبة، ولذلك، ينبغي أن تحلّ المعلومات الصائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصائبة بأخرى أكثر صوابا حتى يتمّ تثبيت القول السليم، والفعل السليم، والسلوك السليم قيما أخلاقية.

وعليه:

. تبيّن الخطأ وأدركه قبل فوات الأوان.

. أقدم على تصحيح المعلومة الخاطئة.

. تمعّن بعقل وموضوعية وميِّز.

. جادل بحجَّة.

. حاور بمنطق.

. تطلَّع حتى تستوعب.

. قرر ما يجب بدون تحيّز.

. قوّم جهودك بموضوعية.

. صحّح الأخطاء التي استوضحتها بالتقويم.

. اضع الحلّ نصب عينيك وأقدم بلا تردد.

. استغفر لذنبك في كلّ خطأ تعرّفت عليه.

. اعف عمّن طلب منك العفو إن كنت واثقا من نفسك.

. إذا اعترفت أنّك من الخطّائين فعليك بالتسامح مع الخطّائين.

وعليه؛ فإنّ المعلومة الصّائبة بنائية: حيث احتوائها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني. ولذلك؛ فالذات الإنسانية تُبنى بقيم وفضائل المجتمع التي تترسَّخ في الذهن والنفس، وتتجسّد في السلوك والفعل، وعلى ضوئها تُبنى الشخصية المتطلّعة لِما هو أفضل وأجود وأحسن، حيث الاستيعاب لكلِّ مفيد ونافع.

ولأنّ المعلومة الصائبة تحمل في مضمونها قيما إنسانية؛ فهي التي تُمكِّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي، الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصُّب والانحياز للباطل والظلم، حيث التمسّك بالحقّ والعدل مع فائق التقدير والاعتبار.

وفي مقابل ما سبق تأتي المعلومة الخاطئة، التي تنشئ شخصية انسحابية، حيث تشرُّبها لقيم لا يرتضيها المجتمع، فهذه الشخصية ذات مستوى قيمي هدمي وليس بنائي، مثلها مثل حال الشخصية التي تشرَّبت قيم وفضائل اجتماعية وإنسانية. فالشخصية الانسحابية هي التي تتخلّى عن بعض من القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته في الفعل والسلوك، ولهذا، كلّما استمرت الشخصية الانسحابية في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، وصلت إلى مستوى الأنانية، الذي فيه لا يفكّر الفرد إلا في نفسه، حيث تخلِّيه عن القيم التي تربطه بالآخرين، حتى يوصف بأنّه شخصانيا (أنانيا).

وعليه؛ فالفرق كبير بين من تشرَّب معلومات صائبة، وبين من تشرَّب معلومات خاطئة، ولأنّ المعلومة الصائبة ذات حُجّة (مصادق)؛ فهي الأقوى، ولأنّ المعلومة الخاطئة تفتقد للحجّة؛ فهي الأضعف، ولذا؛ فهي لا تصمد أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأنّ المعلومة الصائبة علاجية؛ فهي التي تصمد بقوّة حجّتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة وتحلَّ محلّها.

وعليه؛ فالقاعدة العلمية تقول:

. الانحراف عن الانحراف السّالب يُعدّ عودة إلى القاعدة، ولذا؛ فهو الموجب.

- الانحراف عن الانحراف الموجب يُعدُّ خروجا عن القاعدة، ولذا؛ فهو السّالب.

. الانحراف السالب يُعد موجبا بالنسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السّالب يُعد سالبا بالنسبة للمتمسّكين بقيم المجتمع وفضائله الخيّرة.

العودة إلى القاعدة

بين

الضرورة والوجوب

القاعدة المنطقية والعلمية تعدّ تأسيسية لكلِّ بناء، ومنطلقا لكلّ هدف، ومرجعية قيمية لكلّ مجتمع، ولهذا، تعدّ التربية على قيمها واجبة، ويعدّ إصلاح حال الأفراد وعلاجهم على قيمها الحميدة، ضرورة اجتماعية وإنسانية، ولهذا؛ فالإصلاح والعلاج واجب على المسؤولين والأخصائيين الاجتماعين والنفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية، وكما هو ضرورة لهم؛ فهو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامّة.

ووفقا لدائرة الممكن؛ فإنَّ الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع هو متوقّع، ولا ينبغي الاستغراب بما أنّنا نتوقّعه قبل حدوثه في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية، وفي المقابل

الذي نتوقّع فيه حدوث الانحرافات كذلك نتوقّع إمكانية التسامح والإصلاح.

وعليه لا ينبغي أن ييأس النّاس من بلوغ التسامح والعلاج والعودة إلى القواعد الاجتماعية التي من خلالها يتمكّن الجميع من ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم ولعب أدوارهم بنجاح مع حمْل مسؤولياتهم بإرادة.

المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:

ولأنّ المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل، إذن، التأثير السّالب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصائبة.

فنحن بني الإنسان نتعلّم بالمعلومة التي تقع في حالة تعامل بين مُرسل ومستقبل، بين منتج لها وبين مستخدم أو مستهلك، وبها يبلغ المختلفون التسامح والاتفاق، وبها يتمّ الاختلاف أيضاً. إنّها العابرة للعقول والعابرة للحدود؛ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرين أو الموردين لها.

ولهذا تُعد المعلومة بنائية في دائرة الموجب، وهدمية في دائرة السالب.

ولأن المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا بما تحمله من حُجج وبراهين؛ فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضاً. وستضل المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع سواء أكانت سالبة أم موجبة.

وعليه:

. فكّر بمعلومة.

. فكّر في معلومة.

. استمع جيدا إليها.

. ميز بها.

. خطط بها.

. حاجج بها.

. صحّح بها خطأ.

. قيم بها سلوكاً.

. أصلح بها حالة.

. تطلَّع بها مستقبلا.

. أحدث بها نُقلة.

. تسامح بها، وبها اصفح واعف وتصالح. وبها أنتج فعلا، وأقبل على عمل موجب ولا تتردّد؛ فالصّواب تملؤه الإيجابيات، والخطأ تملؤه السلبيات؛ فعليك أن تتسامح وتختار حسنات تتضاعف إيجابا، أو سيئات تتضاعف سلبا.

وعليه، لا داعي لتأخير أو تأجيل أو تعطيل قيمة التسامح؛ فالتسامح قيمة مرضية لله تعالى، وبها عمل الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، وهي قيمة مرضية للمؤمنين والمصلحين وبني الإنسان الخيّرين؛ فتأخيرها أو تعطيلها يؤديان إلى نتائج أكثر سلبية (انحرافات مركّبة)، ولذا؛ فإنَّ الإقدام بكلّ قوّة وسرعة على الأخذ بالتسامح يخفف عمليات التوتّر وييسر عملية العلاج والإصلاح ويمكّن من البناء والإعمار.

ولأنَّ كلّ شيء ممكن ولا استغراب ولا يأس.

إذن، وجب على النّاس التبيّن قبل إصدار الأحكام، وعليهم بعدم المكابرة عن التسامح إن اكتشفوا أنّهم كانوا من المخطئين، أو أنّ خصمهم كان من المخطئين وقد تبيّن. وعليهم دائماً

بالمعرفة الواعية حتى لا تجرّهم العاطفة وينقادوا وراءها إلى حيث ما لا يجب. وعليهم أن يميّزوا بين المعلومات الصائبة والمعلومة الخاطئة وذلك لأن:

1- المعلومة الصائبة في دائرة المتوقّع، تُظهر القوة البنائية والأخلاقية والإنسانية والإصلاحية والوقائية والعلاجية والاستثمارية، وتُقدّم الحقائق هي كما هي، ويترتّب عليها الفعل المُرضي الممكّن من التسامح.

2 . المعلومة الخاطئة في دائرة المتوقّع، تُظهر القوّة الهدامة، والمؤذية، والمؤلمة، ولا تُقدّم الحقائق هي كما هي عليه، فيترتّب عليها فعل الندم. ولهذا، ينبغي على الإنسان:

1- أن يُميِّز بين ما هو ظاهر، وما هو كامن.

2- ألاَّ يغفل عن كلّ كبيرة ولا صغيرة في دائرة الممكن.

3- أن يربط العلاقة بين الظاهر والكامن.

4- ألا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيات حيث كلّ شيء ممكن.

5- أن يُظهر قوة الحُجَّة، والكلمة، والجملة، والقول، والفعل والسلوك.

6- أن يُدحض الحُجَّة بالحُجَّة.
7- أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.
8 . ألا يستعجل بأيّة تصريحات في حالتي الفرح والألم؛ ففي حالة الفرحة قد يلتزم بأشياء وهو لا يستطيع الوفاء بها، وفي حالة الألم قد يصرح بما لا يجب؛ ممّا يرتّب على تصريحه ألم لاحقّ، ومن هنا، وجب التسامح.
وعليه، ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشرّبه من تشرّبه من النّاس وأثّر في سلوكه، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سوية صائبة، يتغيّر أصحاب الاتجاهات السلبية إلى الاتجاهات الموجبة التي يرتضيها المجتمع، ومع أنّ أساس المعلومة الصواب، لكن النّاس هم الذين حادوا بها عن مقاصدها ومراميها، ومن ثمّ، أصبحت المعلومة المشوهة من بعدهم هي السبب في المظالم والمكائد بين النّاس، ممّا يجعل المعلومات الخاطئة التي تشرّبوها هي المسبب في

ذلك، فلو تعلمنا فكراً معوجاً ونحن لم نتبيّن نقاط اعوجاجه؛ فإنّنا سنسلك سلوكاً معوجاً، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوّة الحُجّة التي تحملها، تصبح معارفنا وسلوكياتنا صائبة. ولذا؛ فمن أراد الإصلاح بين النّاس؛ فعليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

المصادر

والمراجع باللغة العربية

1 . الموسوعة الشاملة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة.

2 . الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

3 . الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1999.

4 . الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، .1986

5 . الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفييت "ترجمة سمير كرم". بيروت، دار الطليعة، . 1974

6 . الموسوعة في العلوم الاجتماعية "ترجمة عادل مختار"، وسعد عبد العزيز". الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999.
7 . الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، عقيل حسين عقيل. الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، 2007.
8 . الأسماء والصفات للبيقهي.
9 . الصحيح من سيرة النبي الأعظم.
10 . المصباح المنير.
11. اليونيسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية ولعلم والثقافة، التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم.
12 . الحوار المتمدن، العدد 1494، 2006، عبد الرحمن تيشوري، العفو العام والعفو الخاص والعلاقة بينهما.
13 . أحمد فواقه ، العفو خلق إسلامي عظيم، جامعة القدس، كلية الدعوة وأصول الدين، المغرب.
14 . أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مطبعة الأمل التجارية، غزة.

15 . أبي الحسن علي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتاب العربي، ط2، 1994م.
16 . أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت، 1994 م.
17 – أريك فروم، الخوف من الحرية، (ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1972.
18 . اولريش بك، هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية "ترجمة أبو العيد دودو" كولونيا، منشورات الجمل، 2001.
19 . تفسير القرطبي.
20 . تفسير الطبري، جامع البيان.
21. تفسير الرازي.
22 . تفسير البغوي، إحياء التراث.
23 . جان جاك روسو، العقد الاجتماعي "ترجمة بولس غانم". بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية، 1972.

24 . روجيه باستيد، السيسيولوجيا والتحليل النفسي، "ترجمة رجيه البعيني"، ط1، دار الحداثة، بيروت 1988م.
25 . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.
26 . سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية (محدداتها . قياسها . نظرياتها)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1975م.
27 . سليمان مظهر، قصة الديانات. القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998.
28 . صاموائيل هنتنجتون:
أ . ـــ، الإسلام والغرب آفاق الصِّدام "ترجمة مجدي شرشر"، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995.
ب . ـــ ، صدام الحضارات إعادة صنع النَّظام العالمي "ترجمة طلعت الشايب"، القاهرة، دار الكتاب المصرية، 1998.
29 . عقيل حسين عقيل:

أ . ـــ ، سيادة البشر دراسة في الفكر الاجتماعي. مالطا، دار الجأ، 1995.

ب . ـــ ، منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004.

ت . ـــ ، التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، القاهرة، المجموعة الدولية، 2011م.

ث . ـــ ، المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011.

ج . ـــ ، سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

ح . ـــ ، خريف السُّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت: 2011م.

خ . ـــ ، الرّفض (استشعار حريّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

د . ـــ ، تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

ذ . ــ ، أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الليبية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2012م.

ر . ــ ، وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

ز . ــ ، ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

ط . ــ ، العزل السياسي في دائرة الحرمان والهيمنة، القاهرة، 2014م.

ظ . ــ ، السياسة بين خلاف واختلاف، القاهرة، 3014.

30. عارف تامر، الدّولة الفاطمية الكبرى، المكتبة الفاطمية، دار آل البيت، ط1، 2007م.

31. عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1408هـ: (ص263).

32 . عبد المنعم شحاته، أنا والآخر سيكولوجية العلاقات المتبادلة. القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2002.

33. علي الصلابي:
أ . ـــ ، علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الجوزي، القاهرة، 2007.
ب . ـــ ، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007.
ج . ـــ ، فتنة مقتل عثمان، دار الجوزي، القاهرة، 2007.
. ـــ ، سيرة أمير المؤمنين أبي سفيان، دار الجوزي، القاهرة، 2007.
34. عمر شبانة، "لمجلة العربي" وزارة الإعلام – دولة الكويت، العدد 533 – 2003، تاريخ و أشخاص و تراث
35. فيليب بينيل Philippe Pinel الشبكة العربية للصحة النفسية الاجتماعية، عبد الرحمن إبراهيم، دمشق، 2011./9/21
36 – فريد وآخرون، الشخصية، الهو، الأنا، الأنا العليا، (ترجمة وجيه اسعد)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2002م.

37 – كارل ابراهام، التحليل النفسي والثقافة، (ترجمة وجيه أسعد)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1998م.
38 . لسان العرب. ابن منظور، بيروت، دار لسان العرب، المجلد الأول.
39 . شرح العقيدة.
40 . معجم الفروق اللغوية، الفروق اللغوية، والنهاية في غريب الحديث والأثر.
41 . مسند أحمد.
42 . معجم العين.
43 . منتديات ستار تايمز، شؤون قانونية، العفو العام والعفو الخاص.
44 . ملتقى رابطة الواحة الثقافية، ملتقى النخبة العربية، عادل عبد الوهاب، القطوف الدانية من الحكم الغالية.
45 . محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996م.

46 . محمد جابر الأنصاري، الفكر العربي وصراع الأضداد، عمان، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1996.

48 . محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983م.

49 . محمود محمد طه، نحو مشروع مستقبلي للإسلام، الكويت، دار قرطاس، 2002.

50 . محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط7، 1991م.

51 . مشير عمر المصري، المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة، مركز النور للبحوث والدراسات، غزة، 2006م.

52 . نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق (ترجمة محمد نجار)، بيروت، شركة الطبع والنشر اللبنانية، 1997.

المصادر

والمراجع الأجنبية

1 - Albert, Ethel M, "The Classification of Values, A Method and Illustration", American Anthropologist, Vol. 58, 1965.

2 . A. J. May ، *The Age of Metternich* ،Holt, Rinehart & Winston, New York, 1933.

3 - Abbett, Kants. T. K., Theory of Ethics, London, 1927,

4- Anthony Giddens. the Third way, The Renewal of Sociality, 1998.

5 - Ashley J.Tellis, Janica Bially, Christophe Layne and Melissa Mc Pherson, Measuring National Power in the Postindustrial Age, RAND Corporation, 0002.

6 - Bush, Chilton R., “A System of categories for General News Content” Journalism Quarterly, Vol.37.no.2,1970.
7 - Alexander L. George, "Coercive Diplomacy", in: Robert J. Art and Kenneth Waltz (eds.) ,The Use of Force: Military Power International Politics, U.S.A: Roman and Littlefield ،
8 - Bolck, J., & Thomas, H., Is Satisfaction with Self a Measure of Adjustment? journal of Abnormal and Social Psychology, 1965.
9 - B. Gilley, "The Determinants of State Legitimacy: Results from 72 Countries", International Political Science Review,VOL.27,NO.1, 2006
10 - D. A Easton, "Systems Analysis of Political Life", New York: Wiley, 1975
11 – Edward W. Said, Out of Place, A. Knoff 1998.

12 . Edward M Burns ، *Western Civilizations* ، Eighth Edition, W. W. Norton & Company, New York, 1973.

13 - Ernest J Wilson, "Hard Power, Soft power, Smart Power", The American Academy of Political and Social Science, SAGE publications, 2008.

14 – Francis Fukuyama. Trust. Social Virtues and the Creation of prosperity, London, Hamish Hamilton, 1995.

15 - bHolsti, Ole, R., "Content Analysis for the Social Sciences and Humanities" New York, Addison-Wesley, 1969

16 - Henry k Skolimowski; Living philosophy: Eco- philosophy as a Tree of life; Arkana Paperbacks.

17 _ http; islam- online. net/ Arabic mfaheem, 2002. Joseph Nye, Power in the Global Information Age: From Realists to Global, (New York, Routeldge, 2004.

18 - Maria Otero, "Civilian Power for Security in the 12 st Century ،"an In interview by Glenn Kessler, Council on Foreign Relations, January 6, 2012.

19 - Marc J. Hetherington And Suzanne Globetti,"Political Trust and Racial Policy Preferences", American Journal of Political Science, Vol. 46, No. 2,Apr. 2002.

- M.A. Chaudhary & Gautam Chaudhary, Global Encyclopedia of Political Geography, 2009.

20 - Niculae Tabarcia, Power Relations between Realism and Neo- Realism in Hans Morgenthau's and Kenneth Waltz's Visions, Strategic Impact, No4., April, 2009

21 - Robert Dahl, The Concept of Power, Behavioral Science, Vol. 2 , July 1957.

22 - Roth, C. H. Fundamentals of Logic Design. 2nd Ed. St, paul, West pub. Co, 1979.

23 - R.M. Kramer And T. R.Taylor, "Trust in Organizations: Frontiers of Theory and Research", Thousand Oaks, Calif.: Sage, 1995.
24 - M.E. Warren, "Democracy and Deceit. Regulating Appearances of Corruption", American Journal of Political Science, VOL.50,NO.1,January 2006.
25 - Culture Concept", In G. A. Almond & S. Verba(Eds.), The civic culture revisited: An analytic study, Boston, Mass.: Little, Brown, 1980.
26 - S .Feldman, "The Measurement and Meaning of Political Trust", Political Methodology, VOL. 9,1983.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلف **57** بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له **79** مؤلّفاً منها خمس موسوعات.

أشرف على **37** رسالة ماجستير ودكتوراه.

ناقش ما يزيد عن **40** رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

* تُرجمت له ونشرت مجموعة من المؤلّفات باللغة الإنجليزية واللغة التركية.

عناوين المؤلفات ومواضعها

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.
22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.
23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.
52 . ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.
53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.
54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.
55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.
57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
71 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م
72 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.
73 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.
74 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.
75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.
76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.
78 . العزل السياسي في دائرة الحرمان والهيمنة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.
80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.
81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

المؤلف فى سطور

أ.د/ عقيل حسين عقيل

- ولد فى ليبيا ١٩٥٣.
- بكالوريوس آداب ١٩٧٦ جامعة طرابلس.
- ماجستير فى التنمية البشرية.
- دكتوراه فى الخدمة الاجتماعية.
- استاذ بجامعة طرابلس.
- شارك فى مؤتمرات علمية عديدة فى مجال العلوم الاجتماعية.
- أشرف على العديد من الرسائل العلمية.
- شغل منصب وزير التعليم العالى وتقلد مناصب أخرى.
- نشر العديد من المؤلفات والموسوعات والأبحاث فى مجال العلوم الاجتماعية والسياسية.